30 يومًا في تركيا

30 يوم في تركيا
هاني محمد
تصميم الغلاف:
تدقيق لغوي: خالد رجب عواد
رقم الإيداع: 2015/3172
I.S.B.N: 978- 977- 488-371-2

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة: 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة.
المدير العام: يحيى هاشم
هاتف: 01144552557 - 01147633268
E – mail:daroktob1@yahoo.com
Facebook: دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، 2015م

30 يومًا في تركيا

هاني محمد



دار اكتب للنشر والتوزيع

المقدمة

أتناول في هذا الكتاب رحلتي في تركيا في نهاية فصل الخريف سنة 2011 بعد ثورة 25 يناير، قادمًا من روسيا. قضيت في روسيا حوالي عشرين يومًا، رأيت فيها الثلوج لأول مرة في حياتي، واستحممت في الحمام الروسي قافزًا في الثلوج شبه عارٍ في درجة حرارة – 18 قادمًا من غرفة بخار تبلغ حرارتها 70! استطعت العدو عاري الصدر أثناء هطول الثلوج في درجات حرارة – 15، رأيت الثلوج على مرمى البصر، زرت قرى في الأرياف الروسية كانت تستخدم منفي للأعداء السياسيين في عهد الاتحاد السوفيتي. دخلت أديرة و كنائس، قضيت ليالي في بيوت عدد من العائلات الروسية. زرت أكبر المدن الروسية الغربية. رأيت من يشربون الفودكا و يرتدون الشبكا – غطاء الرأس الروسي – لكن على الرغم من الأحداث التي مررت بها هناك اخترت أن أبدأ أول كتاب لي عن الجزء الثاني من الرحلة، عن تركيا، وجبال الأناضول، بقيت حوالي شهر كامل في تركيا زرت خلالها ثلاث مدن: إسطنبول، سفرنبول،

كوتشكوي. حيث الغرب والشمال والوسط الغربي، وبحر مرمرة والبحر الأسود وبحر إيجة، مررت بلحظات كثيرة، ضحكت فرحًا، ارتعشت ضعفًا، تجهمتُ كآبة، تسلقت جبلًا، تجولت بين حقول غناء، رأيت غروبًا للشمس لم أره في حياتي، عملت مندوبًا لبيع الرخام، تطوعت للعمل في الحقول الجبلية، بتُّ في البيوت الخشبية وبيوت الشباب الخرسانية، تعاملت مع أتراك، ومغاربة، وفرنسيين، وإنجليز، وأستراليين، وأمريكان، وألمان، وروس ، ودنماركيين، ومصريين ونمساويين، وعاشرتُ الأتراك الأغنياء والفقراء، والشيوعيين والجهلاء، والقومين والسفهاء، والمهندسين، والحرفيين، والموظفين، والشرطة، جعتُ و شبعتُ، سرتُ على قدميَّ ساعات، ركبتُ حافلات السفر و العبارات.

إن ثراء التجربة التي رأيتها في تركيا هو أحد أسباب اختيارها لتكون موضوع هذا الكتاب، تنقسم الرحلة إلى ثلاثة أجزاء: أولها كنتُ مندوبًا للمبيعات في إسطنبول لشركة رخام مصرية، ثانيها متطوعا في مزرعة قريبة من بحر إيجة، آخرها البقاء في بيت شاب تركي أره لأول مرة في حياتي.

بجانب ثراء التجربة، أرغب أن يستفيد كل من سيذهب إلى تركيا من قراءة هذا الكتاب حتى يتخيل ما سيواجه عند سفره؛ ولذا فقد ركزت أحيانًا على بعض التفاصيل الصغيرة التي تهم كل مسافر، كما أريد للقارئ العربي و المصري خصوصًا أن يطلع على مشاعري التي أحسستُ بها عندما قام بعضهم بالاستهزاء ببلادي و بالدول العربية!

إن فكرة السفر في المنطقة العربية تتمحور حول بعض المعتقدات، منها أن السياحة تتطلب الكثير من المال، لكن هذه الرحلة تثبت بعض الشيء خطأ هذا الاعتقاد؛ ولذا فقد جعتُ موفرًا، سرتُ على قدمي ساعات موفرًا، حاولت الأتوستوب موفرًا، تطوعت مزارعًا بطعامي وشرابي وإقامتي موفرًا، نمتُ في الحافلات موفرًا، عشتُ عند أناس لا أعرفهم موفرًا، ارتعشت موفرًا، تأملت الطعام في الفاترينات، وسمعت صراخ معدتي دومًا ولم أبالِ موفرًا، أكلت خمس أرغفة خبز على قطع صغيرة من الجبن لا تتعدى الأصبع موفرًا، استخدمت الانترنت لمعرفة أرقام الموصلات العامة موفرًا، استعملتُ الكروت الذكية التي توفرها بلدية إسطنبول موفرًا، كل ذلك كان محاولة للاستمتاع بالحياة في بلد جميل و معايشة تجارب مختلفة بأقل التكاليف، أتمنى أن يكون عنوان كتابي القادم هو "أرخص رحلة في الشرق الأوسط".

بالطبع كنت أصدق ما كنت أسمعه طوال حياتي في مصر عن الغرب، لا خجل لديهم، وأنهم أشبه بالحيوانات، قذرون، أنانيون، كذابون، كل شيء بهم سيئ، لكن عندما عشتُ معهم، كنتُ بما هو أسوأ منهم، كذبت، تملقت، استعبطت، وأكثرت من الاستعباط، قمتُ بأشياء لا تمت للحياء بأي صلة، أُصبت بأمراض جلدية من نظافتي الرهيبة، وبهذا أفقت من السبات العميق الذي عايشته في مصر وفي الدول العربية، إننا العرب الأفضل! وفهمت أن البشر لايختلفون كثيرًا، احتياجاتهم واحدة، لكن يتطور مجتمع ما بطريقة مختلفة بسبب تجاربه المختلفة التي تستدعي طريقة تعامل مختلفة.

أخيرًا أحب أن أشير إلى أنني ترددت في كتابة هذا الكتاب بما أني لست كاتبًا ولا روائيا، لكن رغبتي في عرض التجربة أملًا في إفادة الآخرين كانت أقوى مني، لقد استأت من قراءة الأدب العربي المكتظ بالكثير من الإطناب و الأساليب البلاغية التي تذهب بنا إلى خيالات كثيرة، لهذا حاولت أن أكون دقيقًا وألا أكذب أبدًا في عرض الأشياء، وألا أستخدم أوصافًا لم تكن موجودة، أو أن أدعي الشعور بشيء لم أشعر به، إنها محاولة للصدق ولاحترام القارئ، فلا مغالاة ولا تخيل، بل أنقل شعوري الداخلي بشفافية شديدة، يمتلئ الكتاب بالتفاهة والجد، والسطحية والعمق، والملل والفكاهة، والكذب والصدق، و الذكاء والغباء.

الجزء الأول



ليلة من خمس ساعات

15- 11- 2011

كانت التاسعة مساءً تقريبًا عندما لامست عجلات الطائرة أرض مطار أتاتورك في إسطنبول، قادمة من مطار موسكو عاصمة روسيا بلاد الصقيع و الدفء!

انتهت إجراءات الدخول سريعًا، بدا لي المطار لا يختلف كثيرًا عن باقي المطارات التي مررت بها من قبل، ربما يكون هناك اختلاف، لكن تضارب المشاعر داخلي شغلني عن الملاحظة.

كنتُ قلق النفس مما ينتظرني، حيث كانت هذه أول زيارة لي إلى إسطنبول، ويدور برأسي عدة تساؤلات: هل من الأمان دخول إسطنبول ليلًا؟ هل سأجد بيت الشباب الذي نويت أن أبيت به الليلة؟ هل سأضطر إلى ركوب تاكسي لمغادرة المطار؟

و كان آخر تساؤل هو الأهم، لأنني لا أريد استخدام تاكسي

توفيرًا للنفقات. كنت قد بحثت على الإنترنت قبل وصولي تركيا عن كيفية مغادرة مطار أتاتورك والتوجه إلى منطقة وسط البلد، سلطان أحمد، وكعادة الإنترنت العظيم أعطاني الإجابة في أحد المواقع، حيث شرح شاب التفاصيل لكيفية مغادرة المطار و كانت كالآتي:

1- في المطار سنجد يافطات مكتوبًا عليها مترو، اتبعها.

2- في آخر يافطة ستخرج من المطار، انعطف يمينًا عند الخروج، ثم انزل للطابق الأسفل في نهاية الطريق.

3- عند المترو اشترِ تذكرة عبور معدنية، وتُسمى جيتون (jeton) بليرتين وأركب المترو.

4- بعد ست محطات تصل إلى محطة زيتنبيرنو (zeytinburnu)، انزل من المترو، واشتر جيتون آخر بليرتين واستقل مترو بخط آخر يذهب إلى سلطان أحمد، و هو الحي الذي أريد الذهاب إليه لوجود معظم بيوت الشباب فيه.

كنت قلقًا من اتباع خطوات الإنترنت، لأنه على الرغم مع عظمة الإنترنت، فإنه – أحيانًا – يقدم معلومات غير دقيقة، حتى أني فكرت في المبيت في المطار ودخول البلد صباحًا ليكون هناك كثافة عدديه من الناس والمحلات المفتوحة؛ مما سيبعث في نفسي الطمأنينة، لكن من تجاربي في مطارات أخرى سابقًا كنت أعلم أن المبيت بالمطار مجهد جدًّا، بجانب البرودة الشديدة أحيانًا، لهذا قررت الانصياع لإغراء خطوات الإنترنت أيًا ما كانت النتيجة، وتجربة دخول إسطنبول ليلًا. وبدأت الرحلة بما أحمله على كتفي من حقائب وزنها

21 كيلوجرام موزعة على حقيبتين، واحدة كبيرة على الظهر، والأخرى صغيرة على الصدر.

تابعت اليافطات في المطار حتى وصلت إلى باب المطار، و كنت أسأل بين الحين والآخر عن المترو، فكانت دائمًا الإشارات في اتجاه اليافطات؛ مما زادني طمأنينة. اتجهت يمينًا عند الخروج من باب المطار، وأخذت أمشي حتى وجدت سلمًا يأخذني إلى أسفل، ويافطة مكتوبًا عليها مترو، فنزلت وهناك وجدت محطة المترو، وقبل الدخول رأيت بعض الماكينات التي أرى الناس يضعون بها نقودًا فتخرج أشياء معدنية مثل النقود لكن أكبر، يستخدمها الناس في العبور إلى المترو مثل تذكرة العبور في مترو الأنفاق في القاهرة وموسكو، كان معي نقود تركية حيث حولت قليلًا من الريالات السعودية إلى ليرات تركية في المطار حتى أستعملها لبلوغ الفندق والمبيت ليلة، ولم أكن أريد تغير الكثير من المال في المطار، حيث تكون قيمة التحويل غالبًا أقل في المطارات.

نجحتُ في الحصول على التذكرة المعدنية، واستقللت المترو، لكن الظلام وما أحمله على كتفي والقلق جعلني لا ألاحظ جمال المترو، لكن ما لفت نظري هو وجود ستة أشخاص فقط في عربة المترو التي أستقلها!

بعد وضع الحقائب على أرضية المترو بدأت في عد المحطات ومحاولة التعرف على محطة زيتنبىرنو، وكنت قلقًا لسماعي صوتًا إلكترونيًا في القطار بالتركية، يُسمي كل محطة عند بلوغها. أرى

المحطة في خريطة محطات المترو، لكن لست متأكدًا، فبدأت أسأل الناس بالإنجليزية عن سلطان أحمد، فلم يفهم أحد شيئًا إلا كلمة سلطان أحمد، وأجابوا بالتركية، ولم أفهم شيئًا إلا كلمة زيتنبىرنو، فاطمأننت لسماع الاسم، وأنزلني الناس في المحطة، لكني شعرت بالحيرة عند النزول، فهناك اتجاهان للمترو، أحدهما إلى سلطان أحمد والآخر في الاتجاه المعاكس، ولم يكن هناك أحد لأسأله أيهما أختار؟

ركبتُ أول مترو جاء، واندهش الناس من هيئتي بالحقائب على الظهر والصدر، واستغللت اندهاش الركاب، وقلت: "سلطان أحمد؟" فبدؤوا الكلام بالتركية، ولكن إشارقم دلت على خطأ الاتجاه، وأني يجب أن أنزل في المحطة المقبلة؛ لأركب إلى الاتجاه الآخر، ولم أنتظر أكثر من أربع دقائق فقط بعد نزولي لأرى المترو قادمًا في الاتجاه الصحيح، وبدخولي إليه سألت: "سلطان أحمد؟" فأومأ البعض بنعم، فأنزلت الحقائب وجلست على كرسي ولحسن حظي كان الرجل الجالس بجواري يتكلم الإنجليزية، بطلاقه لأنه بريطاني يعمل مدرسًا في تركيا.

قام الرجل مشكورًا بإجراء حديث ودي معي، وبدأ في شرح معالم إسطنبول، أثناء تحرك المترو مبينًا الأماكن على الخريطة التي أحملها، وأنزلني في محطة سلطان أحمد التي أريدها منذ البداية.

سلطان أحمد في العاشرة و النصف مساء عبارة عن أضواء متلألئة على الجانبين، مترو في منتصف الشارع، قليل من الناس، معظم المحلات مغلقة! سلطان أحمد كما رأيت من الإنترنت هو المكان الذي به الكثير من بيوت الشباب، ولهذا قررت الذهاب إليه مباشرة،

ومحاولة المبيت في بيت شباب اسمه سلطان، كنت أخذت معلومات عنه من الإنترنت.

سألت أحد أصحاب المحلات المفتوحة القليلة المتبقية عن اسم بيت الشباب "سلطان أوتل" وكالعادة جاءني رد تركي لم أفهمه و إشارات في اتجاه معين، سلكته فورًا.

كان هناك شاب بقربي، ولا أتذكر إن كنت قد بادرته بالحديث أم بادرني هو، كان شابًا في حوالي السادسة والعشرين من عمره، ناصع البياض، شعره فاحم السواد، رفيعًا، متوسط الطول، عرف نفسه بأنه تركي من أزمير، وكان يتحدث إنجليزية معقولة تكفي لأفهمه ويفهمني، ويا للعجب! أبلغني أنه يتحدث أكثر من لغة، الإنجليزية، والفرنسية، الإيطالية، والروسية، لأن تعلم اللغات من متطلبات عمله رجل أعمال مع أبيه!

عرض الشاب أن نسهر قليلًا معًا، وأن يقوم باصطحابي في جولة مسائية لمشاهدة معالم إسطنبول، بعد أن يدلني على الفندق، فوفقت متحمسًا بدون أدنى تردد، فأنهيت سريعًا إجراءات المبيت ليلة في بيت الشباب، ووضعت حقائبي ولقيت الشاب خارج بيت الشباب، بدأت أولى جولاتي المسائية في إسطنبول.

تعرفت على آيا صوفيا، وعدة مساجد، وقصر بمنطقة سلطان أحمد حيث تعتبر من أهم المناطق السياحية في إسطنبول، وبعد حوالي عشرين دقيقة، وصلنا لشاطئ البسفور، وأخذنا عدة صور للكباري ليلًا، ولكني لاحظت عرجًا خفيفًا على الشاب، لا أعرف إن كان منذ

البداية أم فقط الآن! اقترح الشاب أن نذهب إلى نصف البلد – تاكسيم– فوافقت واقترح ركوب تاكسي، ففكرت في ما سأدفعه في التاكسي، فصعقت، فأبلغته متملصًا أني أريد أن أمشي للاستمتاع بالمدينة! لكنه أصر، وقال: إنه سيدفع فانفرجت أساريري ولم أملك إلا الموافقة!

و كنت أعرف اتجاه تاكسيم من إشارات الشاب قبل استخدام التاكسي، لكني لاحظت أن التاكسي يأخذ اتجاهًا آخر، فبدا القلق يساورني و بدأت الأفكار الطفولية تدور برأسي، أيسرقونني؟ هل ثمة علاقة بين الشاب وصاحب التاكسي؟ هل سأُضرب من أول يوم ؟ هل معي أي نقود أو أشياء ثمينة ستأخذ مني؟

سألته: لماذا نبتعد عن اتجاه تاكسيم؟ أجاب بأنه لا يوجد طريق مباشر إلى تاكسيم، ويجب الالتفاف حولها، وأثناء كلامه رأيت يافطة مكتوبًا عليها تاكسيم، وسهمًا يشير إلى اتجاهها، وبدأ التاكسي يأخذ اتجاه السهم، فتبخر القلق، وفي خلال دقيقة وصلنا إلى شارع الاستقلال، ولوهلة نزلنا من التاكسي في شارع جانبي مليء بتجمعات من الشباب والرجال المرتدين للسواد، وهو الزي المتعارف عليه في الأفلام لأعضاء العصابات، فروادتني الأفكار الطفولية ثانية، لأني رُبيت على أخذ أفكاري من الأفلام، فتبًّا لها من أفكار، و تبًّا لها من تربية!

بمجرد عبور الشارع الجانبي ودخولنا إلى شارع الأنوار المتلألئة، إنه شارع الاستقلال، استرحت. شارع رائع واسع، كانت هناك

أنوار على كلا الجانبين، وأنوار تصل جانبي الشارع على هيئة أقواس وأشكال فنيه جميلة، بعض المحلات ما زالت مفتوحة وقليل من المارة بالشارع، مشينا بالشارع، وأخذ يتحدث الشاب عن صديقاته الفرنسيات، والإيطاليات، والروسيات، وركز على صديقته الروسية، حيث يعرف أني جئت إلى تركيا قادمًا من روسيا، و نبهته إلى الشبه بين شارع الاستقلال في إسطنبول و شارع أرباط في موسكو.

ميدان تاكسيم ميدان واسع به بعض الأنوار، ونافورة تضاء باللون البنفسجي، و عمل نحتي كبير في المنتصف. اقترح الشاب أن نشرب شيئًا، فدعوته راغبًا أن أعبر له عن امتناني لما فعل حتى الآن، دعوته لشرب عصير، فرفض مصممًا على أن نذهب إلى كافتيريا يعرفها، فتوجهنا إليها في شارع رئيسي بعيد عن تاكسيم بحوالي خمس دقائق، وببلوغ المكان اكتشفت أنه ملهي ليلي، وليس كافتيريا! فوقفت عند البوابة رافضًا الدخول، فظهر من داخل الملهي أربعة رجال ضخام الجثة، يبدون كحراس شخصين، و بدؤوا في الإلحاح تارة، و الإغراء تارة لحملي على دخول المكان، لكن رفضي كان قاطعًا فيئسوا وفي آخر المطاف سألني الشاب: هل تستطيع أن ترجع وحيدًا، فأجبت بثقة و هدوء: بالطبع متنفسًا الصعداء.

بتركي الشاب وعصابته من النصابين، كنت أفكر كيف استطاع الشاب خداعي على الرغم من أني قرأت عن مثل هؤلاء النصابين الذين يؤلفون القصص من أجل اجتذاب الناس إلى الملاهي الليلية وبدخولهم المصيدة في الملهي، تأتي فتيات للجلوس على المائدة وتبدأ

حفلة الطلبات، ثم الفاتورة الرائعة التي تبلغ قيمتها عدة أضعاف القيمة الحقيقة، فإما الدفع أو الخيارات الأخرى، وللأسف لا يوجد الخيار المصري الرحيم بغسيل الصحون، لكن الخيار التركي هو حفلة الضرب المبرح التي يتلقها الشخص والتجريد الكامل من النقود!

لم أتخيل أن أقع فريسة لهذا النوع من النصب؛ لأني لم و لن أفكر مطلقًا في الذهاب إلى ملهي ليلي، وأيضًا لم أتوقع أن يأخذوني من سلطان أحمد، بل هم موجودون فقط في منطقة تاكسيم! تداعت هذه الأفكار في رأسي أثناء توجهي إلى سلطان أحمد مشيًا، فقد قدرت من الخريطة أني على بعد حوالي ساعتين مشيًا من سلطان أحمد، فقررت أن أركب رجلي لتوفير التاكسي، وأيضا لاستكشاف المدينة مسلحًا بخريطة إسطنبول، ومقدرتي الجيدة على تحديد الاتجاهات، حتى لا أضل الطريق.

بمجرد وصولي إلى ميدان تاكسيم، بدأت السير في شارع الاستقلال رجوعًا إلى شاطئ البسفور، و أثناء السير بادرني شاب بالحديث، اعتقدته – خطأ – عربيًّا! وعرف نفسه على أنه من ملطا وأنه في زيارة إلى إسطنبول منذ ثلاثة أيام، وأخذنا الحديث إلى بلده و بلدي. وعلى الرغم من غرابة لكنته العربية فقد كانت صحيحة و مفهومة تمامًا، ثم بدأ يقول: إنه يريد أن يرى رقصًا شرقيًّا! فأبلغته أني لا أريد هذا، لكنه ألح وألح، وكان يحلف الحلف بالله تلو الحلف على أني سأحبه! فاستسلمت وأبلغته أني سأنتظره بالخارج، فألح و ألح ، وقال تعالَ فقط وانظر و إن لم يعجبك فاخرج. و فعلًا نزلت معه إلى

دور أسفل مبنى في ملهي ليلي، وعند الدخول لمحت فتيات كثيرات، فخرجت فورًا، وحاول رجال ضخام ثنيي عن الخروج، ولكني غادرت بسرعة، ورجعت إلى شارع الاستقلال غاضبًا وغير مصدق كيف أني خدعت مرتين بنفس الأسلوب في أقل من ربع ساعة!

فهمتُ أن ملامحي العربية بجانب لحيتي هي من يجذب النصابين اعتقادًا منهم أني خليجي! لهذا قررت أن أمضي دون أن أتجاوب مع أي شخص يحاول الكلام معي في هذا الشارع.

اقتربت الساعة الآن من منتصف الليل، فرغت الطرقات من المارة وأغلقت المحلات أبوابها، وكنت أحاول أن أسأل من أجده في الطريق لأتأكد من الاتجاه الصحيح.

وجدت شابًا و فتاة، كان الشاب طويلًا عريض المنكبين، شعره أسود طويلًا حتى منتصف ظهره تقريبًا و مربوطًا بتوكة، و بأذنه قرط، بادرت الشاب سألًا عن كوبري جالتا، فنظر إلي ثم بدأ التحدث بالتركية مع الفتاة التي نظرت إلي و أجابت بالإنجليزية، واعتذرت أنه لا يعرف الإنجليزية، وأكدت لي صحة الاتجاه، ودعتني للسير معهما؛ لأنهما يسيران في نفس الاتجاه، و بدأ الحديث المعتاد:

- من أين أنت؟

- من مصر.

- رائع، ما أخبار الثورة؟ وأين مبارك الآن؟ و كيف أحوال الناس أمنيًا؟

- كل شيء على ما يرام، ولدا مبارك في السجن، مبارك لا

أعرف، الأمن ليس على ما نأمل ، نتمني الأفضل.

- نحن نحترم جدًّا ما حدث في مصر، و نتمني أن تكون بداية رائعة لمصر لتكون بلدًا أفضل.

- وأنا أيضًا أتمني ذلك.

ثم شكرتهما واستأذنت، ثم وصلت إلى كوبري جالتا، إنه كوبري واسع، نظيف، في منتصفه مترو، يصطف على الجانبين صيادو السمك الذين يصطادون أسماكًا صغيرة في حجم الأصابع، تـــأملت الصيادين قليلًا، وتأملت بائعي الشاي والساندوتشات الذين يحاولن البيع للصيادين.

وفي نهاية كوبري جالتا على الجانب الآخر من البسفور كنت أمام طريقين، طريق طويل وهو باتباع خط المترو، والآخر قصير مختصر يخترق الحي، لكن يجب أن تكون على معرفة جيدة بالحي أو تكون خبيرًا مثلي في الطرقات الجديدة!

اخترت الأقصر طبعًا - بما أنني خبير- وبدأت أخترق الحي مستخدمًا الخريطة، ومقدرتي الخارقة على تحديد الاتجاهات، وما هي إلا دقائق معدودات من السير وحدي تمامًا حتى ضللت الطريق! وفشلت كل المحاولات في معرفة موقعي وفقدت الاتجاه وبعد عدة دقائق من الضياع وقع نظري على معلم رأيته على الخريطة أوصلني إلى خط المترو، وفورًا أخذت خط المترو الطويل مستغنيًا تماما عن الطريق المختصر، مؤجلًا الاستفادة من خبرتي لاختبار آخر.

بالوصول إلى سلطان أحمد واجهتني مشكلة غريبة، أني لا أعرف كيفية الذهاب إلى بيت الشباب! ولا أحد في الطريق لأسأله، فما كان مني إلا الانتظار قليلًا حتى مر شاب بادرته بالحديث:

– لطفا، أين سلطان أوتيل ؟ (لطفا بالتركية تعني من فضلك).

– عليكم السلام و رحمته وبركاته.

– فوجئت برده! وقلت: السلام عليكم، أتتحدث العربية؟

– لا، إنجليزية قليلة

قالها بالإنجليزية.

– أنا أريد الذهاب إلى بيت شباب اسمه سلطان

قلتها بالإنجليزية.

– أعتقد أن معظم بيوت الشباب في هذا الاتجاه.

وأشار في اتجاه بيت الشباب.

– أنا اسمي هاني من مصر.

– أنا اسمي كردى و هذه بلدي.

ارتبكت لرده، لكن احترامًا له لم أسال أكثر.

– أنت أول شخص يقول لي: السلام عليكم.

– شيء غريب، منذ كم يوم و أنت بإسطنبول؟

– منذ حوالي أربع ساعات.

ضحك:

– ستسمعها كثيرًا، كيف مصر؟

– جيدة وأتمنى أن يكون القادم أفضل، لماذا المحلات مغلقة ولا يوجد مارة؟

– انظر كم الساعة؟ حوالي 1:30 صباحًا!

– لقد كنت أعتقد أن إسطنبول لا تنام.

– أنتظر سأسأل شخصًا عن بيت الشباب.

وسأل صاحب محل ما زال مفتوحًا في منطقه الفنادق.

– أنا لا أريد أن أتعبك أو أعطلك.

– لا تقل مثل هذا، أنت ضيفنا.

و سأل شخصًا آخر.

لقد كان شابًّا بشوشًا، واسترحت له كثيرًا، ولم يتركني إلا أمام باب بيت الشباب، وكان مدهشًا فقط معرفة رده عن جنسيته ككردي وليس تركيًّا. على ما أعتقد أنه من الأكراد القومين.

دخلتُ غرفتي الغريبة في بيت الشباب التي تضم 24 سريرًا، كل سريرين فوق بعضهما بعضًا، مثل عنابر الجيش. حاولت الاستحمام، لكن المياه كانت باردة، و غرفة الاستحمام كانت بلا أشياء، لأعلق عليها ملابسي، فبدأت أرتعد، وخرجت مسرعًا إلى الغرفة، والغرفة باردة، فلا يوجد تدفئة مركزية مثلما هو الحال في روسيا، لكن كل

غرفة بها مدفئتها الكهربائية الخاصة، استسلمت للنوم بجوار المدفأة لأتخلص من إحساسي بالبرودة، وهكذا انتهت ليلتي الأولى في إسطنبول.

ليلة من خمس ساعات فقط.

كارت و خط و أصدقاء جدد

16- 11- 2011

استيقظت باكرًا وبعد صلاة الفجر انتظرت طعام الفطور، حيث يقتضيى نظام بيت الشباب تقديم الإفطار الفطور من الساعة الثامنة حتى الحادية عشر ظهرًا.

أثناء تناولي الطعام، كنت أفكر بضرورة البحث عن بيت شباب آخر تتوافر فيه المياه الساخنة للاستحمام، أنهيت الطعام في حوالي الثامنة و خمس و أربعين دقيقة، وبدأت رحلة البحث، ملزمًا نفسي ألا يستغرق البحث أكثر من ساعتين حتى لا يضيع اليوم في أمور ثانوية غير العمل. دخلتُ عدة بيوت شباب، تتقارب كلها من ناحية السعر إما أقل أو أكثر قليلًا، بدا على بعضها انه أفضل مما أقيم به الآن، بعد حوالي ساعة من البحث و المساومة أحيانًا وجدت بيت شباب اسمه: أيسلند (island) قريبًا من البيت الذي أقيم فيه ولكن عدد الأسرة في الغرفة أقل، به 16 سريرًا و بنفس القيمة، 20 ليرة، ويشمل السعر نفس الأشياء من وجبة إفطار، وإنترنت مجاني 24 ساعة.

عدت سريعًا إلى بيت الشباب الذي أقيم فيه، ولأنني كنت أريد الانتهاء من الأمر بسرعة، فلم أوفق في حزم حقائبي بطريقة صحيحة، مما اضطرني للذهاب بحقيبة شبه مفتوحة حاملًا على كتفي بعض الملابس!

اخترت أحد الأسرة في بيت الشباب الجديد، وألقيت حقائبي عليه متعجلًا، ثم ذهبت إلى البار لتناول الفطور، ثانيًا مفكرًا بتوفير أكبر قدر ممكن من نفقات الطعام.

في الحادية عشرة بدأت رحلة العمل مُحدِّدًا ثلاثة أهداف:

1. شراء خط تليفون تركي.

2. طبع كارت شخصي به رقم الجوال التركي، واسم الشركة التي أعمل بها.

3. استكشاف إسطنبول أكثر.

سألت القائم على بيت الشباب عن مطبعة لطباعة الكرت، فقال طوبكبوي (topcapou)، لكنه نظر لي مقرًّا أني لن أستطيع معرفة مكان المطبعة في هذا الحي، بما أنه بعيد جدًّا، وأنا أبدو له كسائح لا أستطيع معرفة الأماكن الداخلية في إسطنبول! أثارت هذه النظرة حنقي قليلًا، وقررت أن أصل إلى الحي وحدي، وهناك أبحث عن المطبعة بدون مساعدته، وصلت طوبكبوي من سلطان أحمد بعد حوالي 3 ساعات سيرًا على قدمي، أثناء الطريق رأيت فرعًا لفودافون، ففكرتُ في شراء خط الموبيل التركي، ويا للعجب لا

يتكلم الإنجليزية أي شخص في فرع فودافون الذي يقع في المنطقة السياحية! وللحصول على خط الجوال استمتعت باستخدام لغة الإشارة، وقليل من الكلمات الإنجليزية والتركية، كلفني شراء الخط سبعين ليرة، وبه رصيد بقيمة خمسين ليرة، ووعد ببدء الخدمة في خلال ثلاث ساعات، وهو ما لم يحدث في الحقيقة، حيث بدأت الخدمة بعد حوالي عشر ساعات!

شوارع إسطنبول جميلة، نظيفة، ليست بالمستوية لكن مرتفعة أحيانًا ومنخفضة أحيانا أخرى؛ بسبب طبيعتها الجبلية، وبها الكثير من المساجد و القباب و الكنائس.

قطعت معظم المسافة في شارع واحد يربط المدينة من أولها إلى آخرها في الجزء الأوربي، وهو الشارع الذي يمر به المترو، مع ذلك حاولت ملاحظة الشوارع الجانبية المتعامدة على هذا الشارع سواء الموصلة للبحر أو التي بعكس الاتجاه.

الكثير من أصوات الطيور، وأكثرها تميزا صوت طائر النورس المنتشر في كل أرجاء إسطنبول حتى في الأماكن البعيدة عن شاطئ البحر، الأتراك عامة لا يأكلون الطيور، اندهشوا عندما علموا أننا نأكل الحمام في مصر، واندهشوا أكثر عندما علموا بأكلنا للأرانب، سألوني: أتأكلون الغربان والنورس؟!

من حين لآخر كنت ألاحظ دورات مياه عامة، مما ذكرني بتجاربي الأليمة في روسيا مع دورات المياه العامة، والمواقف المخزية التي حدثت هناك، في تركيا الدورات العامة منتشرة في كل مكان، وهي

ليست المجانية، بل يتراوح ثمنها من 0.75 إلى 1 ليرة، تمثل الدورات العامة أحد الأشياء المهمة التي اضطررت للتعامل معها كثيرًا بسبب البرودة الشديدة؛ مما خلق مواقف تبدو في ظاهرها طريفة، لكنها رهيبة لمن عايشها!

رجال الشرطة يرتدون ملابس عصرية ونظيفة، تتماشى مع الجو المحيط، ومع شكل المترو يبدو حديثًا جدًّا و نظيفًا جدًّا جدًّا.

المباني ليست عالية، فأغلبها أقل من 5 طوابق، باختصار مدينة ذات طابع لذيذ، حيث يميزها أصوات طيور، أصوات أمواج البحر، مبانٍ ليست عالية، مترو أنيق حديث، رجال شرطة يعكسون طابع العصر الحديث، مبانٍ تجمع بين الحداثة و القدم، جو رائع من القباب و الإسلام والمسيحية واليهودية، لا ضجيج، لا مشاحنات، لا عراك، لا يوجد الكثير من السيارات التي تستخدم الأبواق، الأتراك أنفسهم يبدون كالغرباء بملابس إسلامية في بعض الأحيان، فتجد فتيات يلبسن الحجاب، والملابس الطويلة بجانب فتيات يدخن السجائر، ويلبسن أحدث الموديلات القصيرة، وتجد شبابًا طويلي الشعور، تتدلى من آذانهم أقراط، بجانب شباب يرتادون المساجد!

على الرغم من استخدامي خريطة، لكن كنت أسأل الناس من حين لآخر لأتأكد من الطريق، وأيضًا لأختبر رد فعل الأتراك على سؤالي! وكان رد فعلهم غالبًا مميزًا، فعلى الرغم من عدم معرفة أي شخص تقريبًا بالإنجليزية، فإن الرد الودود والمحاولة للمساعدة حاضرة في ردهم، والإشارات بالأيادي في اتجاه الطريق الصحيح

وعلى الخريطة تغطي عائق اللغة بيننا.

ازداد احترامي للأتراك، كلما سألت أحدهم عن شيء ما، فتعاونهم وبشاشتهم وطيبتهم البادية زادت من ألفتي معهم وإقبالي عليهم.

و في حي طوبكبوى بدأت البحث عن مطبعة لطبع الكرت الشخصي الذي سأستخدمه في مقابلاتي الرسمية، رأيت شابًا يتحدث في تليفون، وعرفت من لهجته العربية أنه مصري، انتظرت حوالي سبع دقائق حتى أنهى محادثته التليفونية وبادرته سألًا:

- إنت مصري؟

- أيوه.

- كويس جدًا ، أخبار تركيا معاك؟

- كويسة، بس مصر أحلى.

- أحلى في أيه؟

- يا عم كفاية البرد، في إسطنبول بتبقى تلج في الشتا وبينزل تلج.

- ربنا يستر عليك، بس في حاجات كتير شبه مصر.

- فعلًا حتى الأكل تقريبًا واحد، في بتنجان وبصاره، بس أكل مصر أحلى.

- أنت بقالك كتير في تركيا؟

– تلت سنين و بفكر أرجع.

– منصحكش الأوضاع في مصر مش مستقره.

– أنا سامع، أدينا هنشوف وربنا يستر، إنت بتعمل أيه في تركيا؟

– شغل و سياحة.

– و ساكن فين؟

– سلطان أحمد، متعرفش فندق رخيص أو مكان أسكن فيه رخيص؟

– فيه فندق في آخر الشارع ب 35 ليرة بسريرين، معقول يعني مش وحش ، أنت ساكن بكام؟

– بعشرين ليرة.

– إيه؟ أنا عمري مسمعت عن السعر ده، أنا أرخص حاجة سمعتها 35.

– أنا ساكن في عنبر في بيت شباب فيه 16 سرير في الغرفه مش في غرفه منفرده.

– أه!

– بقولك، أنا عايز أطبع كرت شخصي متعرفش أطبع فين؟

– هنا في مطابع بس مش عارف فين بالظبط.

– طيب ممكن تكتبلي كلمة "كرت شخصي" و"مطبعة" بالتركي علشان أسال الناس.

– هههههه، أنا معرفش الكلمه ديه، عمري ماستعملتها.

- هههه مفيش مشكلة، أنا هدور، ربنا يوفقك ويهدليك اللي فيه الصالح.

- الله يخليك، اتفضل معي ناكل ومتخفش مش عزومه مركبيه.

- الله يخليك، أنا مستعجل عايز أطبع الكرت بسرعه.

- ربنا معاك، سلامو عليكم.

- عليكم السلام.

في أعقاب هذا اللقاء شعرت بالثقة والراحة لسببين:أولهما ازدياد تأكدي من وجود مطبعة حولي في مكان ما، وثانيهما استخدامي اللهجة المصرية لأول مرة منذ بداية الرحلة.

بدأت السير في الشارع الرئيسي متأملًا كل محل، وكل يافطة محاولًا إيجاد مطبعة. وبعد فترة انتهى الشارع الرئيسي بحي سكني بلا محلات تقريبًا؛ لذا قررت سؤال السائرين عوضًا عن تأمل المحلات، سألت كثيرًا، لا توجد حتى كلمات بسيطة إنجليزية في هذه المناطق البعيدة عن المناطق السياحية، فقط إشارات! معظم الناس حاولوا مساعدتي بينما تجاهلني بعضهم تمامًا.

و في خضم انشغالي بسؤال الناس، كانت هناك امرأة وابنتها على ما أعتقد، يسيران بجواري في نفس الشارع، يراقبان ما أنا فيه من حيرة. ولما كنت لا أسأل سيدات إلا أذا دعت الضرورة، لهذا لم أعرهما انتباهًا، بادرتني السيدة بإشارة مفادها أن توقف وانتظر، في الوقت الذي دخلت فيه الفتاة إلى أحد المحلات، ففهمت أنهما يسألان

لمساعدتي، و عادت الفتاة، وسألتني بإنجليزية بسيطة: هل تريد طبع كارت شخصي؟ فأجبت بنعم، فذهبت مرة أخرى إلى محل آخر، وسألت ثم إلى آخر، وآخر، وآخر ،وجاءني ردها بعدم وجود أي مطابع هنا، ونصحتني بالذهاب إلى حي قريب من سلطان أحمد، حيث بدأت رحلتي، ولكني كنت متأكدًا من وجود المطابع هنا، ولم أشأ أن أجادلهما، فشكرهما على المساعدة، فتأسفا لعدم مقدرهما على إعطائي معلومات كاملة، و شكرهما مرة ثانية.

استمر البحث حوالي ساعتين حتى يئستُ وأحسست بالإرهاق، تبادرت إلى ذهني فكرة مفادها أن أحاول تناول الغذاء في مطعم، والدخول في حديث مطول من الإشارات مع العاملين في المطعم؛ علني أهتدي إلى مطبعه و قررت أن تكون آخر محاولتي هذا اليوم.

اخترت مطعمًا يبدو لي من أكبر المطاعم في هذه المنطقة، ودخلت إليه، وبدأت أستغل تأثير السائح على العاملين، فقد كنت محط أنظار العاملين، والأكلين بالمطعم لغرابة رؤية سائح في المنطقة، كنت أوزع الابتسامات هنا و هناك، وأحاول أن أستفسر بالإشارات عن الطعام؛ لأقترب أكثر من العاملين، و فعلًا بعد اختيار طبقين، والدخول في عدة محادثات بالإشارة، استطعت جذب كل العاملين في المطعم تقريبًا، و بدا عليهم الفضول لمعرفة الأكثر عني، بادرني شاب منهم، وسألني عن جنسيتي أو على الأقل هذا ما فهمته عندما بدأ يشير إليّ و يحرك يده مستفهما، فرددت: "مصر" حيث تسمى مصر بالتركية مصر، ليس إيجبت مثل الإنجليزية، و بدا عليهم الترحاب بأني عربي، وخاصة

كوني مصريًّا، بدأ الحديث عن مبارك وعن الثورة، ثم جنحت بالحديث نحو الطعم اللذيذ لأكلهم، مما أشعرهم بالسعادة والألفة معي، وكنت أثناء حديثي معهم أتناول طعامي بهدوء و ترو، ثم بدأت المحادثة الرئيسية، أخذت كارتًا كان معي، وقلمًا وورقة، وبدأت أشير إلى الكارت، وأقلبه بين يدي وأكتب أرقامًا على الورقة؛ لأحاول إفهامهم أني أريد طبع عده كروت، وبعد محاولات عديدة، أعتقد أن مدير العاملين قد فهمني، وأعطاني كارتًا، بدا لي أنه لمطبعة، و كنت سعيدًا جدًّا لحصولي على الكارت، دفعت الحساب سبع ليرات فقط، وهو مبلغ زهيدٌ جدًّا مقارنة بأسعار سلطان أحمد.

توجهت إلى ما أعتقد أنه مطبعة، ولم أكن أدرك أنها بعيدة عن المكان الذي أنا موجود به! حيثُ تقع المطبعة في منطقة نائية، منطقة صناعية، بها الكثير من محلات السخانات و المكيفات والأجهزة الكهربائية، ومستلزمات المطابخ الكبيرة.

أخيرًا وبعد عناء وصلت إلى إحدى المطابع، وبدأت رحلة شائقة من الإشارات لإفهام العاملين بها أني أريد طباعة كارت، وأني أريد إضافة رقم تليفون على التصميم الذي أحمله معي على هارد ديسك متحرك، لكن تدخَّل عامل جديد في محادثة الإشارات، وهو الإنترنت متمثلًا في خدمة الترجمة التي يقدمها موقع جوجل، بدأت أستخدم جوجل ترجمة لترجمة الكلمات من الإنجليزية إلى التركية، بينما يقومون هم بالترجمة من التركية إلى الإنجليزية، و بعد حوالي عشر دقائق من المداولات، اتفقنا على كل شيء، و بدؤوا التنفيذ، وفي أثناء الطباعة

قام مديرهم وهو رجل في الستينيات من العمر، قام بإعداد شاي لي، ثم حاول إعطائي إنجيلًا مكتوبًا بالتركية، حيث كان يدين بالمسيحية، وتفهمت مشاعر الرجل بهدوء، وحاولت إفهامه عبثًا أني مسلم، وأني لا أقرأ التركية، لكنه أصر و لم يهدأ إلا عندما أبلغه العاملون بطريقتهم أني مسلم، و كانوا يدينون بالإسلام. كانوا جميعًا قومًا طيبين، وكان لقاءً جيدًا، وأخيرًا حصلت على الكروت التي أريدها.

انتهى اليوم في الساعة 6:30 مساءً؛ مما يعني أنني سرت لمدة سبع ساعات و نصف على قدمي، في درجة حرارة تبلغ حوالي عشر درجات مئوية مع الأمطار الخفيفة.

أثناء العودة استقللت المترو، نبهني الركاب أن هذا الخط لا يذهب إلى سلطان أحمد، تركته مسرعًا قبل تحركه، حزنت واغتظت جدًا لخسارة ليرتين هما ثمن تذكرة المترو الخطأ! أثناء خروجي من المحطة، سألت الضابط المسؤول عن المترو المتوجه إلى سلطان أحمد، أجابني بإنجليزية سليمة، مُدركًا الخطأ الذي وقعت فيه، مشيرًا إلى محطة أخرى تحت الأرض. وقدم لي مربعًا صغيرًا وأبلغني أن أعطيه الضابط المسؤول في المحطة السفلى حتى لا أدفع ثمن تذكرة جديدة! أثار هذا الموقف في ذهني مقارنه سريعة بين شرطة إسطنبول وشرطة مصر! آآآآآآآآآآآآآآههههههههههههههههههههههه.

ركبت المترو الصحيح، ولم أدفع أي شيء آخر، أعتقد أني وقعت في غرام هذا الشعب. وعلى ضوء ما مررت به من أحداث خلال اليوم، تصارعت في داخلي مقارنات بين مصر و تركيا بعد أقل من

24 ساعة في إسطنبول.

1. هدوء في الشوارع من صوت أبواق السيارات في تركيا، أما مصر...!

2. لا يوجد أناس تتعارك مع بعضها البعض كلاميًّا في تركيا، أما مصر...!

3. شوارع إسطنبول نظيفة جدًّا جدًّا، ولم أجد ورقة في الشوارع، أما مصر ...!

4. رجال الشرطة في إسطنبول يساعدونك ويعطونك أشياء لمساعدتك، أم الشرطة في مصر، فلا أريد أن أتذكر عطاياهم!

وأنا في هذه الحالة، بادرني شاب بلغة عربية سليمة:

– أأنت عربي؟

اقتربت منه فور سماعي لغته العربية، وأجبته أني عربي، وبدأ الحديث بيننا، وعرفت أنه فلسطيني من عرب 48، ويحمل جواز سفر إسرائيلي، ويعيش في تركيا منذ ثماني سنوات تقريبًا، أبديت إعجابي بتركيا، لكنه أكد أن للشوارع الخلفية للمدينة قصصًا أخرى! استرحت لهذا الشاب معجبًا بفكره وعقله، تبادلنا الكروت الشخصية، اتفقنا على محاولة اللقاء أذا سنحت الفرصة، لم أكن أعرف حينها أني سأقابله أكثر من مرة بعد ذلك.

وصلت بسلاسة إلى" أيسلند" بيت الشباب الجديد، وقد أذن المغرب أثناء وجودي في المترو، فقررت الصلاة في الغرفة، وبدخولي

الغرفة وجدها خالية من أي شخص، فبدأت الصلاة قبل أن يأتي أحد، وأثناء الصلاة دخل شاب الغرفة، ورآني، وطلب مني بعربية سليمة أن أوقف الصلاة! فأوقفتها، ونظرت له متعجبًا، فأبلغني بوجود زجاجات خمور أمامي، أزاحها جانبًا، عندما رأيتها لأول وهلة اعتقدت أنها زجاجات عصائر! بعد إتمام الصلاة، بدأت أتحدث مع الشاب، وهو زميل في الغرفة، مغربي، يبلغ من العمر 26 ربيعًا، يعمل في الإمارات، و يقضي حوالي شهرًا في تركيا حتى يجدد الفيزا للعودة مرة أخرى للإمارات، بدا لي الشاب راجح العقل، خبيرًا بالكثير من أمور الحياة، وسافر إلى عدة دول منها إيران، تحدثنا عدة ساعات، عرفت خلالها الكثير عن المغرب، منها أن أسعارها رخيصة جدًّا مقارنة بتركيا، وبها العديد من الأطباق الشهية، والأماكن الرائعة، ضحكنا كثيرا عما اكتسبه العرب من سمعة مأساوية في كل البلاد، ففي فرنسا وإيطاليا المغاربة مشهورون جدًّا بأسوأ الأشياء، وفي أستراليا اللبنانيون مشهورون بأسوأ الأشياء، وهكذا، استمر الحديث حتى غلبني النوم، استأذنت من صديقي الجديد، واستسلمت لنوم عميق مختتمًا يومي الثاني في إسطنبول.

أول لقاء عمل

2011 -11 -17

أخيرًا أستمتع بأول استحمام بمياه ساخنة منذ أن جئت إلى إسطنبول، ثم انتظرت افتتاح البار. والبار هو غرفة كبيرة تبلغ مساحتها حوالي 12.8 مترًا، و بها تراس وشبابيك زجاجية، و يوجد مكان لتقديم الخمور والعصائر والمياه المعدنية، كما يقدم وجبة فطور، في أول النهار، على الحوائط لوحات من صنع ساكني بيت الشباب، وتوقيعاتهم بادية وبعض الملابس المعلقة، وأيضا لعبة رمي الأسهم بجانب جهازي كمبيوتر متصلين بالإنترنت،ويحق للنزلاء تناول الفطور، واستخدام الإنترنت طوال اليوم مجانًا.

الفطور عبارة عن طبق به 3 قطع طماطم، 3 قطع خيار، زيتون، علبتين صغيرتين جدًا من المربى والزبد مثل التي تقدم في الطائرات، وأيضًا 3 قطع جبن، وخبز، وشاي، و قهوة، كيفما شئت.

عند فتح البار ذهبت إلى الإنترنت للتحدث مع صديقي وشريكي في العمل عبد الرحمن، حتى تنتهي عاملة البار من إعداد الفطور، حيث إنه يجب الاتصال بعبد الرحمن في القاهرة يوميًا لإبلاغه بما يحدث، والمستجدات والإعداد للمقابلات التي ستتم خلال اليوم.

هذا أول يوم عمل حقيقي، حيث يجب أن أقابل أحد العملاء، وأن أتحدث بإسهاب عن الرخام، وعن الشركة التي أمثلها، وكنت متوترًا لعدم علمي بأي شيء عن الرخام تقريبًا!

فكرتُ في طبع منشور صغير من 3 أو 4 صفحات به المعلومات التي يجب أن أتحدث عنها؛ لأستخدمه أثناء المقابلات وفي نفس الوقت لأعطيه العملاء حتى أزودهم بمعلومات عن منتجات شركتنا. أخذت رقم موبيل عميل واسم شركته، ثم بدأت في كتابة المعلومات التي سأطبعها؛ لآخذها، وبعد الانتهاء تناولت الفطور،وبدأت رحلة البحث عن مكان أطبع فيه المنشور. بعد حوالي أربع ساعات استطعت العثور على مقهى انترنت لطباعة المنشور. كان مقهى غريبًا، يقع في الدور الثالث تحت الأرض، واستخدمت هذه المرة شيئًا جديدًا في لغة الإشارات، آلة حاسبة للاتفاق على السعر، وقد طلبت إلى صاحب المقهى أن يدلني على كيفية الذهاب إلى مكان لقاء العميل، ووضعت أمامه خريطة إسطنبول التي لا تفارقني، وأشرت له على الحي الذي سأذهب إليه، و كان في الجزيرة الآسيوية، حيث تنقسم إسطنبول إلى 3 جزر، اثنتان منها أوربيتان و واحدة آسيوية تسمى الأناضول. ويقع حي سلطان أحمد والمترو في المنطقة الأوربية، وللعبور

إلى المنطقة الآسيوية يجب استخدام عبارة أو أتوبيس يسلك طريقًا طويلًا جدًّا، لهذا فضلت العبارة. وأفهمني صاحب المقهى أني يجب أن أذهب بالمترو حتى محطة أمنونو، ثم أستقل العبارة من هناك إلى الجانب الآسيوي.

تركت صاحب المقهى متوجهًا إلى المترو وصولًا إلى محطة العبارة ، والعبارة عبارة عن سفينة من طابقين، تأتي كل نصف ساعة، وتستخدم نفس طريقة المترو في الدفع، وبنفس السعر، ليرتين، بعد العبور من ماكينة عبور العبارة عليك الانتظار في صالة انتظار حتى تأتي العبارة، تستمر رحلة العبارة في البحر حوالي خمس عشرة دقيقة.

للأسف كان يوم ممطرًا جدًّا؛ مما أدخل المياه داخل حذائي، ودائمًا كان أصدقائي الروس يحذرونني من ابتلال الشراب داخل الحذاء، ولكن لم أعر الأمر اهتمامًا حتى هذا اليوم، فقد تصرفت بما يمله علي ضميري العربي، وهو أن أتجاهل تمامًا ابتلال الشراب، وأتجاهل تحذيرات من هم أكثر مني خبرة بالبرد، فكانت النتيجة الوخيمة في آخر اليوم بعد حوالي ثماني ساعات من السير بشراب مبتلٍ!

في أعقاب وصولي إلى أستوجار في الجزيرة الآسيوية بالعبارة، اتصلت بالعميل، و رفض إعطائي العنوان، وصمم أن أخذ تاكسي ولم أشأ إشعاره بأني لا أريد استخدام تاكسي، ولهذا استسلمت لإلحاحه.

سائق التاكسي رجل في حوالي الخمسين من عمره، قرأت في الإنترنت عن ألاعيب سائقي التاكسي، وطرق النصب المختلفة التي يتبعونها في إسطنبول، كما قرأت التوصية بالركوب مع شخص مسن

أملًا ألا يكون نصابًا، على أيه حال فكرة التاكسي عمومًا مرفوضة بالنسبة لي بما أني أريد توفير أكبر قدر ممكن من المال، وبعد حوالي 25 دقيقة دفعت خمسًا و ثلاثين ليرة، أي ما يقارب حوالي مائه و ثلاثين جنيهًا! خفق قلبي لسماع الرقم، وعضضت شفتي وكنت أريد ضرب رأسي في أي حائط، ولكن لم يكن هناك حائط على أي حال حتى لا أحرج نفسي بعدم مقدرتي على القيام بذلك، دفعت المبلغ صاغرًا مفكرًا بأن برنامج الرحلة من الممكن أن ينهار إذا ما اضطررت لاستخدام التاكسي عدة مرات عازمًا أن أفعل ما بوسعي لتفادي ذلك.

وفي خضم أفكاري عن مأساة التاكسي قابلني العميل، ورحب بي جدًّا وكان كعادة الأتراك مضيافًا بشوشًا، وكالعادة، تحدثنا عن مصر و عن الثورة، ثم عن شركتنا، وشركتهم والرخام، كنت لا أعرف الكثير عن الرخام ولهذا كنت في مفترق طرق، أما الفهلوة المصرية أو الوضوح والصراحة والتورية، اخترت الوضوح والصراحة فاشلًا في استخدام أي تورية مما جعل الرجل يدرك حقيقتي، وأني لا أعرف الكثير عن الرخام، حتى الأوراق المطبوعة لم تفلح في عكس الانطباع الأول، بل زادت الأمر سوءًا، وبدأ الحديث يأخذ اتجاهًا آخر: "كم عمر الشركة؟ منذ متى و أنت في الشركة؟، لكن على أي حال أُعجب الرجل بالرخام، وعندما رأى الأسعار بدأ الاهتمام بالعرض، وبطريقه ما اجتذب سعر وكفاءة الرخام انتباهه، و أخذ الرجل العينات – التي كنت أحملها في حقيبة رياضية وليست حقيبة رسمية – لمديره ليعرض الأمر عليه.

في المجمل أنصح أي شخص يقوم بمثل هذا النوع من العمل أن يكون لديه الآتي:

- ملابس رسمية.
- أوراق مجهزة.
- حقيبة رسمية.
- معرفة كافية بالموضوع.

بعد فترة رجع الرجل معيدًا إلي العينات مصحوبة بالشكر، والسؤال عن خطتي القادمة في تركيا مقترحًا عدة أماكن للزيارة السياحية عارضًا صحبته في إجازة نهاية الأسبوع.

انتهت المقابلة بسلام على الرغم من كونها ليست المثلى لكنها لم تكن الأسوأ،كلف الرجل – مشكورًا – أحد موظفيه ليصحبني بسيارته حتى الميناء، معني هذه التوصيلة توفير خمسة و ثلاثين ليرة، أنا أحب هذا الشعب.

الموظف الذي أوصلني كان في الثلاثينيات من عمره، اسمه علي، لا يتحدث إلا بعض كلمات إنجليزية، أستطيع أن أصفه بأنه يحمل الصورة التركية المرتسمة في خيالي، الشخص العصبي والبشوش الضاحك قليلًا والقوي والمعتد بنفسه وبقوميته، بعد الحديث المعتاد عن مبارك و مصر و الثورة، بدأت أحاول توجيه الحديث إلى حيث أستطيع معرفة الأتراك أكثر، بادئًا بسؤاله عن الأطباق المفضلة فرد بإسهاب محددًا الأطباق التي يحبها ويأكلها كثيرون، لدهشتي كانت

معظم الأطباق التي ذكرها معروفة بمصر والعالم العربي، وكان هذا تشابهًا غريبًا لم ألحظه في ذلك اليوم بالقدر الكافي، وبدأ الرجل يتحدث عن الأشياء التي تضايق منها أثناء زيارته إلى ليبيا، تضايق من رؤيته عدة مرات رجالًا يستمعون القرآن في التاكسي أو السيارة و في نفس الوقت يتحدثون مع غيرهم أو ينظرون إلى سيدات، و قارن هذا بالأتراك الذين يصمتون تمامًا عند سماع القرآن احترامًا!

بصفة عامة أعطاني هذا الشخص إحساسًا غريبًا بأني بطريقة ما أتحدث مع مصري! نفس العبارات و نفس طريقة التفكير، وتفضل مشكورًا وعرض علي اصطحابي إلى محل ملابس، وأكد عليَّ أكثر من مرة أنه ليس محلًا ذا جودة عالية خوفًا من أشعر أنه ليس بالرجل الثري، والمهم ولكني أكدت له أنه لا مشكلة، وفي قرارة نفسي كنت أخشى أسعار المحل، و كنت أتمني ألا أصعق، لكن للأسف لا تأتي الرياح بما تشتهي السفن، عند دخولي المحل صعقت من الأسعار التي كانت كافية، بإيقاف قلبي عن الخفقان، وقررت التظاهر بأن لا شيء جيد، وفقط اشتريت قفازين، وغطاء للرأس، وقررت الخروج بسرعة من هذا المكان، والتخلص من حالة التظاهر التي أصابت كلينا، على أي حال شكرت الرجل على إيصالي ومساعدتي في شراء الأشياء ونزلت عند الميناء.

بدأت معدتي تئن بشدة، فقد قاربت الساعة الخامسة مساء، ولم أكن قد تناولت أي شيء منذ الساعة التاسعة صباحًا، وهنا بدأ المرض يتسلل إلى جسدي، وشعرت بالبرد، وبارتفاع في درجة الحرارة،

تناولت الغداء في مطعم، ولم أكن أعرف ما آكله، و لكني حرصت على اختيار خضراوات فقط، آملًا أن تكون أرخص من اللحوم، كان الطعام شهيًّا، لكن عندما أتى الحساب، ورأيت أني سأدفع ثماني عشرة ليرة! لم أكن أستطيع إيقاف قلبي عن الخفقان الآن بسبب إعيائي ومرضي؛ لهذا قررت أن أعود سريعًا إلى الفندق و الاستمتاع بالدفء عسى أن أستيقظ في حال أفضل.

أكسرى، على بيكو و العودة

18- 11- 2011

عند استيقاظي لاحظت أن الغرفة بدأت تمتلئ قليلًا، يوجد ثنائي روسي ينامان على سرير واحد، وبريطانيان و مغربي وإيراني على أربع أسرة مختلفة، وثلاث أشخاص لا أعرفهم بعد، في خلال انتظاري الصامت لافتتاح البار على السرير، فكرت في إسطنبول، وعقدت مقارنة سريعة بينها و بين روسيا.

- القطار في موسكو يمتلئ بأناس يقرؤون كتبًا وبأيديهم آيباد، أما في إسطنبول فلم أرى أحدًا يقرأ أي شيء في المترو.

- الفتيات في موسكو يرتدين الكثير من الموديلات القصيرة، وكذلك أيضا إسطنبول ولكن بعدد أقل.

- القبلات الساخنة منتشرة في موسكو، وأيضا في إسطنبول لكن بصورة أقل.

- الاثنان تقريبًا يشتركان في تدخين الكثير من السجائر، سيدات ورجال.

- لم أسمع أذانًا في روسيا لكن في إسطنبول، تسمع جيدًا حيث المساجد منتشرة.

- لم أرَ في روسيا أي فتاة مرتدية الحجاب، لكن في إسطنبول الكثيرات يرتدينه.

- لم أرَ في كل منهما رجالًا ذوي لحية.

أثناء الإفطار في البار تجاذبت أطراف الحديث مع أحد الشابين البريطانيين، كان مهندسًا معماريًّا يقوم بعمل مشروع للكلية عن العمارة التركية وتنوعها من البيزنطية والرومانية والإغريقية والإسلامية وأكثر، شابًّا بسيطًا جدًّا في كل شيء، ملابسه بسيطة جدًّا، يبدأ يومه سيرًا على قدميه بعد تحديد مساره على خريطة أكبر وأكثر تفصيلًا بكثير من التي أملكها! يسير على رجليه طوال اليوم من الساعة التاسعة صباحًا حتى العاشرة مساء! يرتدي غطاء على رأسه مثل عمال البناء وبه لمبة صغيرة، غطاء الرأس للحماية من الأمطار، ولمبة من أجل الإنارة في المساء لرؤية تفاصيل المباني لدراستها. لقد أعجبت بهذا الشاب، وأحسست بالغيرة منه، لامتلاكه خريطة أقوى وأكبر، لمقدرته على السير فترة أطول من التي أقطعها يوميًّا، وللملابسه البسيطة، ولوجود تجهيزات معه أقوى وأكثر مما لدي، كان يعاني مشكلات في الرؤية ولكن هذا لم يمنعه، لقد أحسست أن مثل هؤلاء الأشخاص هم من يجعلون بلادهم من أقوى البلاد،

يتسمون بالقوة والبساطة و قوة العزيمة، يستخدمون أبسط الأشياء لكن بكفاءة.

بعد الإفطار، انتظرت دوري لأستخدم الإنترنت، فللدخول على الإنترنت في بيت الشباب يوجد جهازان، أحدهما معطل والآخر يتشارك فيه الجميع.

في حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف بدأت رحلتي لمقابلة عميل آخر، وتوجب علي استخدام أتوبيس عام لأول مرة في تركيا.

ولاستخدام أوتوبيسات عامة، كان يجب السير حوالي نصف ساعة للوصول إلى ميدان أسمه "أكسرى"

قبل الوصول إلى أكسرى سمعت آذان الجمعة، فتوجهت إلى مسجد قريب مكون من ثلاثة طوابق، ومع ذلك كان ممتلئًا تمامًا بالمصلين حيث وجدت مكانًا في الدور الأخير بصعوبة، بدأت الخطبة بالعربية لمدة دقيقتين تقريبًا، ثم باقي الخطبة بالتركية، الخطبة لم تستغرق أكثر من خمس عشرة دقيقة تقريبًا.

بعد وصولي أكسرى بدأت أفكر فيما سأفعل لمعرفة رقم الأوتوبيس الصحيح الذاهب إلى منطقة "Ali Bikoy" علي بيكو"، فقد كنت أعرف العنوان الذي سأذهب إليه، ولكن لا أعرف رقم الأوتوبيس. فكرت في سؤال البعض، أو في الحقيقة فكرت في الإشارة إلى العنوان، والأوتوبيس علهم يفهمون أني أريد معرفة رقم الأوتوبيس، وللتأكد سألت شخصين، ولتوقعي أن طلاب المدارس يفهمون الإنجليزية جيدًا فقد جذبتني مجموعة من الطلاب مكونة من

ثلاث فتيات وشاب، تتراوح أعمارهم بين الثلاثة عشر و السادسة عشر، سألتهم بالانجليزية عن المكان، ولكن للأسف كانوا لا يتحدثون الإنجليزية!ولكنهم أظهروا رغبة في معاونتي وأفهموني أنني يجب أن أشتري تذكرة من الباعة أولا قبل ركوب الأوتوبيس، أشاروا إلى طابور من الناس على كشك، ففهمت أنني يجب أن أذهب إلى هناك لشراء التذاكر أو شراء شيء ما لركوب الأوتوبيس، بعد الوقوف في الطابور والتكلم مع البائع الذي كان يتحدث قليلًا من الإنجليزية فهمت أنني يجب أن أشتري تذاكر مُحدَّدًا عدد المرات التي سأستخدم فيها الأوتوبيس، فطلبت اثنتين، واحدة للذهاب و الأخرى للعودة.

عدت مرة ثانية إلى شباب المدارس، وأفهموني أني سأركب معهم، ثم بدؤوا يتحدثون معي ويضحكون، لكني لم أفهم أي شيء، و كنت ابتسم فقط، ثم لسبب ما ذهبوا إلى المسؤول عن المحطة الذي كان شخصًا متعاونًا جدًّا، وأخذ يضحك معهم، ثم أشاروا لي، وفهمت أنهم يسألونه عن المكان الذي سأذهب إليه، ورقم الأوتوبيس الصحيح، وبدأ الرجل يشير إلى اتجاه آخر تماما غير الميدان، ففهمت أني في الميدان الخطأ، وأنه يوجد مكان آخر به أوتوبيسات تذهب إلى المكان الذي أريده، وفعلا أشار لي الشاب والفتيات أن أتبعهم، سرت مع الشاب تتبعنا الفتيات، ومن حين لآخر يتحدثون جميعًا، ويضحكون بصوت عال، أثناء سيرنا فكرت في محاولة شكرهم بطريقة المسافرين، عرضت العرض الذي لا يرفض في أي بلد في أي مكان في أغلب الأحيان، وهو أن أصورهم، فكانت السعادة الغامرة

بادية عليهم، وبدؤوا في تعديل هندامهم وبدأت إظهار نفسي كمصور محترف، وطلبت منهم الاصطفاف لتكون هناك خلفية معين من ورائهم، وصلنا إلى الميدان الآخر، وأخذوني للأوتوبيس وتحدثوا مع السائق، وأبلغوه أن يترلني في المكان الذي أريده علي بيكو، شكرهم بالتركية "تشكر" وودعتهم، وصعدت للأوتوبيس.

في الأوتوبيس جهاز صغير يضع به الناس التذاكر، وبعضهم يستخدم كارتًا إلكترونيًا. جلست على كرسي منتظرًا أن يبدأ في التحرك، انتظرت حوالي خمسًا و عشرين دقيقة حتى أني فكرت في الترول والبحث عن طريقة أخرى لكن فكرة دفع نقود أخرى...

وهنا ألفت نظر القارئ إلى أهمية ضرورة تكرار التوجه بالسؤال للناس عند الذهاب لمكان لأول مرة حتى لا نتوجه إلى مكان آخر غير المقصود، بجانب أن كثرة الأسئلة تتيح فرصة أكبر للتفاعل والتعامل مع المجتمع المحلي.

تحرك الأوتوبيس وكان من الممتع أن أرى الأحياء الداخلية في إسطنبول، الطريق مزدحم، وتوجد الكثير من إشارات المرور التي نتوقف فيها، حاولت جذب انتباه من بالأوتوبيس؛ كي أتجاذب أطراف الحديث معهم، فبدأت في ممارسة ألاعيب السائح. قمت بفرد الخريطة ثم بدأت استخدام الكاميرا للتصوير من خلف زجاج النافذة، شعرت أن الأجواء مهيئة إذا رغبت في تجاذب الحديث مع أي أحد في الأوتوبيس، فأكثر من شخص ينظرون إلي، واخترت السيدة المسنة الجالسة بجواري، وسألتها بالإنجليزية بصوت ليس بخفيض حتى

يسمعني الآخرون، سألتها عن علي بيكو وأشارت أنها لا تفهم، كررت السؤال بالفرنسية، والروسية لكنها لم تفهم أيًا منها، فشكرتها بالتركية، وبدأت أتأمل سريعًا من حولي للتحدث مع شخص آخر، فوجدت رجلًا يبدو في الخمسينيات يفهم الإنجليزية، وبدأ يتحدث معي، ويصف لي أين نحن، ويشير إلى الخريطة، وإلي مكاننا عليها، ثم سألني الرجل من أين أنا فقلت من مصر فكانت الصدمة له ولي! بعد أن كان يضحك، ويتكلم معي أدار وجه تسعين درجة متجهمًا! فوجئت برد فعله، ولم أعرف ما أفعل إلا الصمت! ورأيت سيدة مسنة فتركت مقعدي لها لتجلس عليه، وهذا أمر متعارف عليه في تركيا، احترام الكبير وإجلاسه، مقارنة بموقف حدث لي في موسكو حيث لا يتبعون هذا السلوك تقريبًا!

ابتعدت عن مكان الرجل المتجهم لأقصى مسافة علني أجد شخصًا آخر، وجدت مجموعة من الشباب، وحاولت التحدث معهم، ولكنهم كانوا لا يفهمون الإنجليزية، فانتظرت صامتًا الوصول إلى المحطة، كنت أنظر من حين لآخر للخريطة، وأنظر إلى السائق حتى جاءت المحطة، وأشار لي السائق بأنها علي بيكو.

علي بيكو منطقة نائية في أطراف إسطنبول، فقيرة، جميلة، رخيصة، أثناء سيري سألت حوالي عشرة أشخاص فقط للتأكد أني في الاتجاه و الطريق الصحيحين، وصلت الشركة في الميعاد، قابلتني امرأة تتحدث الإنجليزية بطلاقة، وأبلغتني أن صاحب الشركة قادم بعد قليل، في خلال دقائق جاء الرجل، كان رجلًا عمليًا، جادًا، قليل

الكلام، مباشرًا، لا يتحدث الإنجليزية، بل تترجم له السيدة، كانت مقابلة مريحة ومباشرة، استطعت منها أن أعرف آراء الرجل في الرخام المصري من رؤيته لما أحمل من عينات و أسعار، أبلغني الرجل بأن الأسعار غالية جدًّا بالنسبة للسوق التركية، وأنه معجب بنوعين من الرخام، وهما بلون البيج و الرصاصي.

بعد المقابلة قررت التجول في المنطقة بحثا عن شركات رخام أخرى حيث كانت المنطقة صناعية مليئة بورش ومصانع وشركات الرخام،استطعت دخول ورؤية عدة شركات، والتحدث مع أصحابها، كانوا في المجمل أناسًا بسطاء مضيافين بشوشين، غالبًا لا يتحدثون أي كلمة إنجليزية، المنطقة نظيفة جدًّا جدًّا جدًّا مقارنة بالمنطقة الصناعية للرخام في مصر المعروفة بـــ "شق التعبان"، الكثير من الأشجار والأنهار الصغيرة والشوارع لا يوجد بها أي مخلفات، منطقة رائعة.

بعد حوالي ساعتين من التجول، قررت العودة حيث حل الظلام، وفكرت أنه بالتأكيد سيكون الطعام هنا أرخص، فذهبت إلى مطعم بسيط، وتناولت طعامًا لذيذًا، تناولت شوربة لا أعرف ما هي، ولكن أعتقد أنها أمعاء الغنم، وهي معروفة في مصر باسم "كرشة"، وكانت رائعة،ودافئة ورخيصة، فكرت في محاولة الرجوع في نفس الأوتوبيس، سرت حوالي 25 دقيقة كاملة حائرًا بين الذهاب والإياب ونصائح بعض الناس! وفي النهاية وقفت في إحدى المحطات منتظرًا، لم تمضِ أكثر من خمس عشرة دقيقة حتى وصل الأوتوبيس، نفس الرقم، لكنْ مع اختلاف بسيط، يوجد بعد الرقم خانة لحرف "A" لكني لم أعر

هذا الفارق اهتمامًا.

جلستُ هادئًا صامتًا في الأوتوبيس، ولم أحاول التكلمَ مع أحد، مفكرًا فيما مررت به طوال اليوم، وصل الأوتوبيس إلى آخر محطة! رأيت المحطة و لم أعرفها كأكسرى! سألت السائق: "أكسرى؟" اندهش الرجل وقال: 25 كيلومترًا حتى أكسرى! فكرت بسرعة، لقد أخطأت الأوتوبيس، وأنا على بعد مسافة 25 كيلومترًا، استبعدت فورًا فكرة السير على القدم، واستبعدت فورًا فكرة استقلال تاكسى، ولا أعرف ماذا أفعل، فسألت السائق ثانية: "أكسرى؟ أتوبيس؟" آملًا أن يدلني على أتوبيس يذهب إلى أكسرى، فأشار السائق إلى الشارع، وقال شيئًا فهمت منه أنه يقصد ميكروباص، ركبت الميكروباص وهو عبارة عن أتوبيس صغير، وسألت السائق أكسرى فأومأ إيجابًا، فجلست أنتظر الوصول إلى أكسرى الحبيبة، تذكرة الميكروباص أرخص من الباص بليرة و نصف، طاف السائق في رحلة طويلة جدًّا في أرجاء إسطنبول حتى وصلنا أخيرًا إلى أكسرى.

وصلت إلى الفندق و وجدت الشاب المغربي الذي بدأ يتحدث عن الشهر الذي قضاه في إسطنبول، وكيف أنه مل كل شيء، وأنه تقريبًا لا يغادر الفندق إلا ليلًا لمقابلة بعض المغاربة أصدقاءه، كما أبلغني أن هناك بعض المناطق الرخيصة جدًّا لكنها ليست آمنة حيث أقام في عنبر لم يكلفه سوى خمس ليرات في اليوم! ومع ذلك فقد نصحني بعدم التفكير في هذا القدر من التوفير حتى لا أتعرض لحوادث من الممكن أن تكلفني الكثير و الكثير.

كارابوك

19- 11- 2011

في هذا اليوم بدأ يتضح لي تمامًا أن فكرة البائع المتجول ليست صحيحة تمامًا. قد تجدي مع الشركات الصغيرة أو المصانع أو الورش، لكن بالتأكيد ليست الشركات الكبرى، من الممكن تصحيح الوضع قليلًا بشراء حقيبة رسمية وطبع أوراق أكثر تميزًا.

أثناء تناول الفطور تحدثت مع شاب بريطاني يعيش منذ سنوات على الدخل الذي تدره عليه محاضرات عن الهندسة المعمارية وتصاميمها المختلفة في جامعات بدول مختلفة، أغلب الوقت يعيش في بيوت الشباب، عاش مدة خمس سنوات في أسبانيا، وسافر إلى الكثير من البلاد، ويريد أن يترك بريطانيا ليعيش في أسبانيا حيث المناخ أفضل، والناس أكثر ودًّا، سألته عن أغرب المواقف التي قابلها أثناء سفره، فقال: إنه في أحد المرات تعرض لموقف في بولندا لم يفهم له تفسيرًا حتى الآن حيث كان في مكان لا يتحدث فيه أحد الإنجليزية، و فجأة بدأ الناس يغضبون، ثم بدؤوا بالركض وراءه إلى أن نجح في

الهرب عن طريق القفز في أحد الأوتوبيسات! انتهى الموقف بسلام، لم يحدث شيء له لكنه كان الموقف الأقوى الذي قابله.

تركتُ الشاب لأنه من المقرر أن أسافر اليوم إلى مدينة كارابوك على بعد خمس ساعات بالأوتوبيس من إسطنبول، لقد رتب أحد العملاء لسفري وإقامتي مدة يوم في المدينة، كان من المقرر أن أتوجه إلى أكسرى لركوب حافلة من مقر الشركة هناك لتأخذني إلى مقر الحافلات الرئيسي؛ لأستقل الحافلة المتجهة إلى كارابوك، سرت على قدمي بالحقيبة من الفندق حتى أكسرى حوالي 30 دقيقة. وبوصولي تكلمت مع العميل وهي سيدة اعتقدها في البداية السكرتيرة أو المنسقة للرحلة، وأبلغتها أني في أكسرى، وأني لا أستطيع معرفة عنوان مكتب شركة النقل، وردت بأنها سترسل العنوان في رسالة، حاولت أن أسأل عدة أشخاص عن المكان، ولكن لم يتعرف عليه أحد، كان من المقرر أن أكون في مقر الشركة في الساعة الثانية عشرة قبل ساعة كاملة من بدء الرحلة، بدأ الوقت يمضي وأنا أنتظر الرسالة على الجوال، بعد حوالي ربع ساعة اتصلت بي السيدة لتطمئن، وأبلغتني أنها أرسلت لي العنوان المفصل في رسالة على الجوال، لكن يبدو لسبب ما لم أسمع رنينه عند وصول الرسالة! بدأت أقلق، وأسأل الناس عن العنوان، وأسرع الخطى، فقد كانت الساعة الحادية عشرة وخمسين دقيقة! حمدت الله لمقابلتي بعض السوريين الذين أبلغوني عن كيفية الذهاب، وكان المقر قريبًا، وصلت إلى المقر أخيرًا بعد عناء، لم أجد من يتحدث الإنجليزية، اتصلت بالسيدة المنسقة، وطلبت إليها التحدث مع موظف الاستقبال في شركة الباصات؛ لأنه لا يتحدث

الإنجليزية، ثم فاجأتني أن الباص قد رحل منذ دقائق، وأبلغتني أن موظف الاستقبال سيساعدني في الوصول إلى المحطة الرئيسية، وانتظرت أن يتكلم، ولكنه لم يفعل. فقمت بفرد الخريطة، وبدأت أشير بيدي بمعنى "أين أذهب؟" فرد بالتركية، وأشار لمكان في الخريطة اسمه أتوجار! ومن الخريطة عرفت أنه بالقرب من المترو، ولكنه خط آخر غير الذي اعتدت عليه، سألته: "مترو؟" فأومأ برأسه إيجابًا، أخذت أشيائي، وبدأت العدو فعلًا لأنه لم يكن أمامي سوى خمس وأربعين دقيقة للحاق بالحافلة الرئيسية! بعد عشر دقائق وصلت إلى المترو الصحيح، وبعد تأكدي بالسؤال أنه متجه إلى أوتوجار بدأت رحلة القلق، بدأ المترو في التحرك بعد حوالي عشر دقائق، أي الساعة الثانية عشرة و خمس و ثلاثين دقيقة!

وصل المترو إلى المحطة بعد حوالي ربع الساعة، عند فتح الأبواب قفزت من المترو، ثم على السلالم للخروج مسرعًا من المحطة، عند بوابة الخروج سألت الضابط المسؤول: "أوتوجار؟" ولدهشتي أشار إلى محل خارج المحطة من عده محلات و كلها لشركات نقل! لقد كان المكان قريبًا جدًّا، فعدتُ إلى الشركة التي أريدها، واسمها "ألوصوى"، هناك اتصلت بمنسقة الشركة، وطلبت إليها مرة أخرى أن تتحدث مع موظفة الاستقبال، أخيرًا عرفت منها أني في المكان الصحيح، وأن الحافلة ستتحرك بعد دقائق، استرحت قليلًا و بدأت أحاول تجفيف عرقي، وكان شيء غريبًا أن أتصبب عرقًا في درجة حرارة حوالي الثماني درجات!

الحافلة نظيفة وأنيقة، بدأ السائق التحرك في الساعة الواحدة وأربع دقائق، أخذ يدور حول إسطنبول حوالي ثلاثين دقيقة، ثم أخذ يسير في اتجاه العاصمة أنقرة، طوال خمس ساعات، وعلى جانب الطريق كنت أرى اللون الأخضر المريح للنفس، غابات وأشجارًا وجبالًا وأنهارًا صغيرة، توقفنا حوالي نصف ساعة في استراحة كبيرة نظيفة فخمة على الطريق تضم العديد من المطاعم التي تقدم وجبات شهية بأسعار رخيصة!

وصلت الساعة السادسة مساء تقريبًا، وجدت في انتظاري السيدة التي كانت تحدثني في الجوال، ومعها رجلان، كانت السيدة تتحدث الإنجليزية بطلاقة، وعرفتني بالرجلين، اصطحبوني في سيارة، فهمت منها أننا اليوم لن نقوم بمقابلة عمل، لكن غدًا سنقوم بكل شئ، أخذوني إلى فندق لأضع أغراضي، كان فندقًا غريبًا مكونًا من حوالي ثلاثة طوابق فقط، فهمت من السيدة واسمها سيفيج أن هذا في الأصل ليس بفندق، بل بيتًا لإحدى الأسر الغنية التي كانت تقيم في هذه المنطقة منذ القرن الثامن عشر! للصعود إلى الغرفة توجب علي خلع الحذاء في أول السلم في غرفة الاستقبال، حيث لا يتقبل الأتراك دخول أى مخلوق بالحذاء تجنبًا للأوساخ!

الغرفة مريحة، بها سريران وتلفزيون وجهاز التدفئة المركزية، دورة المياه نظيفة وجيدة، باختصار مقارنة بالعنبر الذي أعيش فيه تبدو هذه الغرفة كفيلا!

هبطتُ سريعًا للقاء سيفج والرجلين، قرروا اصطحابي في جولة في

أنحاء كارابوك لتعريفي بأهم الآثار.ذهبنا إلى مكان يشبه المتحف، وعلمت منهم أننا في سفرنبول القريبة من كارابوك، لقد كانوا مضيافين جدًا، ودعوني للعشاء، لكني رفضت حيث إني لم أود أن أثقل عليهم، شربنا الشاي التركي، وأخذنا بعض الصور، ثم أعادوني إلى الفندق على وعد باللقاء غدًا الساعة التاسعة صباحًا.

عند العودة سألت موظف الاستقبال: هل سيكون تجولي قليلًا في المدينة آمنًا؟ وكانت الساعة حوالي التاسعة مساء، فأجاب طبعًا وسألني إن كنت أود أن أذهب إلى بار فأجبت بالنفي، حيث إني أريد فقط التجول في المدينة، ساعة كاملة تجولت في المدينة، لا يوجد أي شخص تقريبًا في الشوارع غيري، ولا حتى محلات مفتوحة! كل شيء ميت، إلا من بعض السيارات في بعض الأحيان، تجولت بين البيوت، صعدت وهبطت الكثير من السلالم، ولم أكن أعرف إن كنت في طرق أم في باحات منازل؟! عدت إلى الفندق وكان موظف الاستقبال الوحيد الذي يتحدث الإنجليزية يدخن سيجارة خارج الفندق، وهو شاب في بداية العشرينيات، رفيع وطويل وصاحب شعر أسود، وهو أبيض اللون، حاولت تجاذب أطراف الحديث معه، بدأت مادحًا هدوء مدينته، وطبيعتها الجميلة، فكانت بداية طيبة وبدأ الشاب يسترسل في الكلام، عرفت منه أنه يعيش في إسطنبول، وأن هذا بيت العائلة، وهو يأتي من حين لآخر ليساعدهم في إدارة الفندق، وهو موجود ليومين فقط ليعود بعد ذلك إلى إسطنبول، أثناء حديثنا فوجئت به يطفئ السيجارة بعصبية وبسرعة، وينظر في توتر الى الخلف! أفهمني أن صديق أبيه قادم، وهو لا يستطيع تدخين السيجارة

أمامه! انضم للحديث صديق أبيه، كان رجلًا في بداية الخمسينيات، ذا شخصيه تركية، ممتلئًا قليلًا، سألني عن بلدي وعن الثورة، فأجبته، وكان رأيه أنها بداية جيدة للمصريين التخلص من مبارك، متمنيًا أن يبدأ الشعب في العمل، بدأت أشير إلى التشابه بين مصر و تركيا من حيث سيطرة الجيش على مقاليد الأمور، سألت عن آرائهم في رجب طيب أردوغان، وأغلو، فأثنى الرجل عليهما، سألت الشاب عن رأيه، فشرح أنه في البداية كان يستمع إلى كلام العلمانيين الذين ادعوا أن الديمقراطية التركية ستنهار إذا سيطر أردوغان وأعوانه على الحكم، لكنه يرى الآن أن تركيا أفضل حالًا وأكثر ديمقراطية، ولفت انتباهي إلى أن الأتراك الآن لا يفكرون في الهجرة، بل يريدون البقاء في بلدهم، والعمل حيث ارتفعت دخولهم عما ذي قبل، واستطرد الشاب مشيرًا إلى تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية؛ مما عزز الإحساس بالانتماء والرغبة في صنع مستقبل هذا الوطن.

سألني صاحب أبيه عن سوريا، وكيف أرى الأمور؟ فأبلغته بأني أعتقد أن بشار ليس كمبارك وأمثال مبارك لكنه شخص مختلف لا يخضع لأمريكا كخادم أمين، ولديه الكثير من الأشياء الجيدة، لكنه مع ذلك لديه الجانب السيئ، ألا وهو أنه يعيش بمعزل عن الفقراء والبسطاء في سوريا، حيث استفحل الفساد والرشوة، وحيث يواجه قطاع عريض من الشعب الكثير من الصعوبات ليس بسبب فقر سوريا، ولكن بسبب فساد موظفي الحكومة السورية، وانشغال بشار ومن حوله بالتمتع بملذات الحياة مثلهم مثل الكثير من الحكام العرب، بالتأكيد ليس بنفس الدرجة، ولكن بدرجة كافية لتفشي الفساد، على

ما أعتقد أن ما ينقصه هو النزول إلى الشارع والتكلم المباشر مع الناس، فأجب الرجل أنه يرى ذلك أيضا، ويرى أن للدول العربية الخادمة لأمريكا دورًا، ولأمريكا دورًا فيما يحدث في سوريا، عقبت على كلامه قائلا: إن الدول الكبرى تستغل الأوضاع ولا تخلقها،كما نظن دائما!

أستأذن الرجل، وكان سعيدًا جدًّا بمقابلتي، ودعاني إذا أحببت لبيته في أي وقت، وقد كنت سعيدًا به أيضًا، استمر الحديث بيني وبين الشاب، لكن بعيدًا عن السياسة، اندهشتُ جدًّا عندما علمت منه أن معظم السياح الذين يأتون إلى هذه المنطقة من آسيا من تايلند و الفلبين و هونج كونج والصين واليابان! ظننًّا مني أن معظم السياح غربيون!

تكلمنا أيضًا عن الوضع الاقتصادي التركي، وعن كيف أن بعض الناس يحصلون على سبعمائة ليرة فقط في الشهر! وأنه يريد شراء شقة بالتقسيط في أطراف إسطنبول الآسيوية، حيث لا يقلُّ ثمن الشقة عن مائة ألف ليرة تركية!

استأذنت، وصعدت للنوم للاستيقاظ مبكرًا حيث كانت الساعة الواحدة ليلًا.

وداعًا سيفج،وداعًا سفرنبول

20- 11- 2011

بدأتُ اليوم الجديد مستمتعًا بحمام ساخن جدًّا، شتان بينه وبين حمام بيت الشباب الذي لا بد أن نراعي فيه الدور. هبطتُ في الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة، أدهشني وجود سيفج والرجلين في انتظاري!

اصطحبوني في السيارة إلى مطعم جيد لتناول الفطور، كانت هناك نافورة صغيرة يحيطها مسبح داخل حديقة المطعم، حولها سلاحف وأسماك متوسطة الحجم ذهبية اللون، كان الفطور مكونًا من عسل طبيعي بالشمع! ونوعين من الجبن، ونوعين من المربى، وزيتون وطاجن بيض بالجبنة، وطماطم وخيار، وشاي تركي، يستخدم الأتراك برادين للشاي، أحدهما للشاي، والآخر للمياه الساخنة، وأحدهما موضوع فوق الآخر، والأتراك يملؤون تقريبًا نصف الكوب مياهًا ساخنة والنصف الآخر من براد الشاي.

تحدثنا حوالي ساعتين تقريبًا، فهمت الكثير عنهم، وكانت المفاجأة بالنسبة لي أن الثلاثة هم أصحاب الشركة! عندها فهمت أنها شركة صغيرة جدًّا، يحاولون التعاون مع شركة عبر البحار معتقدين أني أمثل شركة كبيرة؛ مما ستكون فرصة لهم! عندها أحسست بالحيرة، هل أفهمهم الحقيقة وأصدمهم وأعرفهم أنهم خسروا المال و الوقت معي؟ أم أستمر محاولًا إفادتهم و تقليل خسائرهم على قدر المستطاع؟ فضلت الخيار الثاني والاستمرار فيما أفعل، ومحاولة معرفه كيفية التعاون بين شركتنا وشركتهم أو بين السوق المصرية والتركية، محاولًا تقليل نفقاتهم قدر المستطاع.

الثلاثة يبدو عليهم أنهم ريفيون، وليسوا من أهل المدن الكبيرة، الرجلان أحدهما يبدو هادئًا و متدينًا، والآخر يبدو أكثر عصبية وأقل هدوءًا، المرأة تمثل الجمال التركي، ليست بالرفيعة ولا بالممتلئة، ذات شعر أسود فاحم، وبشرة خمرية، جميلة الملامح، رقيقة الصوت، مجاملة جدًّا، وكانت تقوم بما في وسعها لخدمتي وإرضائي بما أنها الوحيدة، التي تفهم الإنجليزية، جيد أن يتمتع الرجل بخدمة من سيدة لذيذة مثل هذه، بدت لي في العشرينيات أو في بداية الثلاثينيات، لم ألاحظها جيدًا بالأمس، لكن اليوم بنور النهار تأملتها جيدًا. كان كلامي معظم الوقت معها؛ لأنها هي الوحيدة التي تتحدث الإنجليزية، في بعض الأحيان، و مع الوقت، بدأت أخصها بالكلام عن الآخرين، وأهتم بها اهتمامًا خاصًّا، لقد فوجئت بما أفكر فيه وأقوم بعمله تجاه هذه السيدة! لم أكن أتخيل أن أقوم بهذا مع علمي بحرمته، ولكن رأيت ضعفي جليًّا في هذا الموقف، و تمنيت أن ينتهي على خير.

بصفه عامة الثلاثة طيبون جدًا، مباشرون جدًا، لا دوران في كلامهم أو تفكيرهم، شركتهم في بدايتها.

تحدثنا في حال مصر و تركيا، سألتهم عن رجب طيب أردوغان وأجابوني أنهم من مناصريه من البداية، وأنهم يأملون بأن تصير بلادهم من أكبر البلاد، وأن يقوم تحالف بين الشرق الأوسط والبلاد العربية وتركيا وأيضًا وسط آسيا، اندهشوا جدًا من معرفتي بتاريخ تركيا السياسي الحديث،ومعرفتي بوزرائهم الحاليين والسابقين منذ الثمانينيات، ومراحل العلاقة المختلفة بين الجيش والحياة السياسية في تركيا الحديثة، لعب هذا الإحساس بالاندهاش في رسم صورة أكبر لي و لشركتي ولمصر على الرغم من عدم تعمدي هذا التأثير، لكن بصفة عامة، إن الشخص المطلع جيدًا على حاضر وتاريخ أي أمة يزورها يكون له تأثير جيد على مضفيه؛ مما يسهل أشياء كثيرة،

بعد الإفطار أخذنا بعض الصور في المطعم، وصورًا جماعية، ثم ذهبنا بالسيارة إلى مصنع، وطلبت منهم التوقف مرتين لالتقاط بعض الصور للبلدة التي أستطيع أن أرها بوضوح في النهار، محاطة بالجبال و الغابات، وبها الكثير من المزارع، هادئة و جميلة، و كنت قد طلبت إليهم التوقف لالتقاط الصور، لسببين أولهما لجمال البلدة وثانيهما أني على علم بتأثير رسم صورة السائح الخبير على بسطاء الناس، و كنت لا أدخر جهدًا في رسم هذه الصورة لكن بهدوء.

أخذوني إلى مصنع لمنتج اسمه "الموزيك الزجاجي"، فوجئت بأني محاط بحوالي اثني عشر شخصًا، كلهم يحاولون خدمتي وإرضائي،

وإظهار مميزات منتجاتهم، على الرغم من أنه يوم العطلة، فقد أحضروا العمال من أجلي خاصة؛ ليعرضوا علي خطوات التصنيع! جلسنا حوالي خمس ساعات تخللها عرض فيديوهات عن مصنعهم! هم أناس ممتازون، مباشرون ومجتهدون، تركتهم على وعد بلقاء مدير مبيعاتهم في إسطنبول.

لا أعرف ماذا قالت سيفج و أصدقاؤها لأصحاب المصنع عني لأتمتع بكل هذا الاهتمام! لم أحاول التأثير عليهم بأي طريقة، فلم يكونوا بحاجة لتأثير مني! سألوني: متى بدأت العمل مع الشركة؟ أبلغتهم مباشرة بدون تلاعب أني جديد، و قد فكرت في استغلال مقدرتي على تكلم ثلاث لغات: إنجليزية وفرنسية وروسية، لم أقصد المغالاة أو أي شيء، لكن وقع عليهم الأمر فانبهروا! مع أنهم يمثلون ثالث مصنع لهذا المنتج على مستوى تركيا، بدأ المصنع العمل في سنه 2002 ووصل إلى هذه المرتبة في خلال عشر سنين فقط.

تركنا المصنع وأصحابه، وذهبت مع سيفج والرجلين، لقد شعروا بنشوة كبيرة، بدت على وجوههم، أشعر بالأسى لحالهم، إنهم يمنون أنفسهم بالمكاسب العربية القادمة إليهم و إلى عملائهم و مدينتهم!

لقد قرروا مكافأتي على هذا الاجتماع باصطحابي في جولة سياحية إلى الغابة، والكهف القريب من سفرنبول، لم أكن أعلم أن تركيا بهذا الجمال، جبال خضراء شاهقة بينها أودية رائعة،كهف لم أر في حياتي مثله، المياه كقطع الكريستال ملتصقة في سطح الكهف، بعض الخفافيش ملتفة حول نفسها ومتعلقة من أرجلها في السطح،

طول الكهف حوالي سبعة كيلومترات منها أربعمائة متر فقط مجهزة للسير والمشاهدة، لبلوغ الكهف يجب الصعود في واد بين جبلين وصعود سلم طويل، أُنهك كل مرافقي، اندهشت مما أصابهم رغم أنهم في بيئة من المفترض أنهم اعتادوا عليها! ماذا يرهقهم؟ أعتقد أنه بسبب السجائر التي يدخنونها، الثلاثة! وأيضًا ربما لإمتلاء أجسادهم قليلًا كعادة معظم الأتراك.

ذهبنا إلى مكتبهم، وكان مكتبًا صغيرًا واكتشفت الحقيقة التي كنت أشعر بها من البداية، أنهم لا يعرفون أي شيء عن الرخام، هم شركة تصدير واستيراد، ولديهم عميل يبيعون له الرخام ليس إلا، لكنهم يحاولون تصدير حديد وسكر وأشياء أخرى، عندما بدأت أعرض عليهم عينات الرخام التي كانت معي بدؤوا يدركون أنني أقوم بهذه الزيارة للترويج للرخام المصري! فكانت صدمة على الرغم من محاولتي تخفيف الأمر عليهم، لكني أعتقد أن الرجل غير الهادئ لم يتقبل الأمر فقد كان يبدو عليه علامات الرفض! انتهى لقاء العمل وأحسست بمرارة من نوع ما من أجلهم، رغم ذلك قاموا بإيصالي إلى الفندق وأعطوني تذكرة العودة إلى إسطنبول ثم ودعتهم، وقد وقعت في هوى هؤلاء الناس، أناس يعملون ولا يستخفون بشيء، بسطاء لكنْ مجتهدون، شعرت أن هذه المدينة هي المدينة التي أريد البقاء فيها فترة طويلة لكن...

أعددت أغراضي وانتظرت الشاب موظف الاستقبال حيث إني سأعود معه إلى إسطنبول، ومن حسن حظي أنه عائد إلى إسطنبول

في نفس الحافلة، أخذني الشاب في عربة أبيه ألى بيته حتى يأخذ أغراضه، رأيت أبيه، إنه عمدة المدينة! بلا حراسة وبلا أي شخص حوله، بدأت الحافلة بالتحرك، وأخذنا نتحدث أنا والشاب مدة ساعتين، تكلم معي عن الصديقات الأربع اللاتي عرفهن من قبل وخاصة الأخيرة منهن، كانت فتاة من الأكوادور. وكيف أنه مل مقابلة فتيات ثم الاختلاف معهن وتركهن مما ترك في نفسه أثرًا سيئًا، حكى لي كيف أنه غضب أثناء زيارته إلى أمريكا من معاملة الأمريكان له، واحتقارهم للأتراك، أعجبني فيه اعتداده بنفسه، واحترامه لوطنه وعدم رضوخه للإعجاب بالغرب على حساب وطنه.

نمتُ في الحافلة، ويا لها من طريقة مرهقة للنوم! لكني يجب أن أعتاد عليها لأنها موفرة جدًّا.

الرجل الفرنسي

21- 11- 2011

عدتُ إلى بيت الشباب فجرًا لأجد زائرًا جديدًا في العنبر، وجدتُ رجلًا فرنسيًّا يبلغ من العمر 42 عامًا، وأيضًا فوجًا كبيرًا من الشباب والشابات تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة عشر حتى الحادية و العشرين، سألت الرجل الفرنسي عنهم، فوصفهم بالمزعجين جدًّا، فسألته: أهم ألمان؟ فأجاب لا يمكن، فالألمان أناس هادئون يحترمون الآخرين ووصف الفرنسيين والإنجليز والألمان بأنهم أفضل من رأى في حياته في احترام الآخرين، ووصف الهولنديين بالأسوأ! عرفت بعد ذلك منه أن الفوج دنماركي.

اندهشت عندما علمت أن هذا الرجل يسافر سيرًا على قدميه! بدأ سفره منذ عشرين عامًا، يعيش في حي فقير في باريس، يعمل بائعًا في محل منتجات للمسافرين، يقوم بادخار بعض المال، ثم يسافر إلى بلد ما، ويبدأ السير، لقد أمضى في تركيا شهرًا كاملًا متنقلًا على

قدميه! يسير في النهار، ويقيم خيمته في الليل لينام، في بعض الأحيان يبقى في المنطقة التي تروق له عدة أيام، يشرب من الأنهار والبحيرات! يقوم بتوفير ما يمكن توفيره بقدر المستطاع، لا ينفق نقودًا تقريبًا إلا على الطعام وفي أحيان قليلة الشراب والإقامة، مثلًا الإقامة في بيت شباب، في بعض الأحيان يضطر إلى شراء بعض الأشياء مثل الملابس بسبب البرودة، يختار خط سيره عادة في المناطق العذراء التي لا يوجد بها سائحون أو بشر!

عند شراء الملابس أو الأشياء غير الضرورية يشتري المستعمل والقديم والرخيص! هذا هو النوع الذي أحبه.

ذهبت لطباعة البرشور الجديد بتصميم أفضل من قبل لاستخدامه في المقابلات مع العملاء، طبعته في نفس المطبعة التي طبعت بها الكروت الشخصية، استقبلني العاملون في المطبعة بترحاب شديد، بعد الانتهاء رجعت إلى بيت الشباب.

بدأ إحساسي بالمرض وآلام في الحلق، فكرت في النوم ساعة أو ساعتين ثم الاستيقاظ، فلم أستيقظ إلا في الصباح، لأني لم أنم إلا ساعتين يوم أمس في الحافلة!

عرب ثمانية وأربعين

22- 11- 2011

استيقظت يعتريني إحساس بالدهشة من طول فترة النوم التي نمتها هذه الليلة، حيث استيقظت فجرًا بعد نوم طويل منذ الأمس عصرًا! فوجئت أن الشاب المغربي قد رحل! وشعرت بأسى شديد لرحيل هذا الشاب، فقد كان الشخص الوحيد الذي أتحدث معه بالعربية كما أني ارتبطت معه بطريقه ما، تذكرت أحاديثنا عن سمعة العرب بالغرب والطرق المختلفة التي كنا نتبعها لتوفير النفقات، تذكرت ضحكاتنا الكثيرة، على أي حال هكذا المسافر، يقابل أناسًا يألفهم، ولكن الفراق يأتي بعد قليل.

بدأت النشاط المعتاد، حيث تناولت الفطور، ودخلت على الإنترنت، وقمت بالدردشة مع الرجل الفرنسي والشاب البريطاني الذي يعطى محاضرات في الجامعات، وأيضًا الشاب الإيراني، والشاب

الإيراني لا يعرف أي كلمة بالإنجليزية، ويستخدم قاموسًا إيرانيًا إنجليزيًّا مصغرًا ليعطه القدرة على التعبير بالإنجليزية.

في حوالي الساعة الحادية عشرة وصلت إلى أول لقاء لي اليوم مع عميل تركي كان يعيش في أمريكا، كان يضع قُرطًا في أذنيه، في أواسط الأربعينات، شريكه على النقيض يبدو تركيًا من الطبقة المتوسطة، تحدثنا حول الرخام لمدة حوالي ساعة، تحدثنا أيضا عن مصر الثورة ومبارك والجيش وتركيا وأحوالها الاقتصادية، كان الرجل يتحدث عن أن الازدهار التركي الظاهر ما هو إلا نتيجة دخول رؤوس أموال من رجال أعمال إسرائليين وغربيين للسيطرة على تركيا، وأن هناك كارثة ستلحق بالاقتصاد التركي في خلال خمس سنوات على الأكثر، لكن الحكومة لا تظهر الحقيقة! بدا لي الكلام سخيفًا لكني لم أظهر شعوري، بل أخذت أستفسر منه أكثر عن نظريته التي سمعتها بعد ذلك من أكثر من شخص، أعتقد أن هذا رأي بعض القوى العلمانية في تركيا للتقليل من شأن الحكومة التركية، ومحاولة لتبرير فشلهم أمام رجب طيب أردوغان!

دعوني للغذاء ولم أشأ أن أثقل عليهم، فطلبت أن آكل في مطعم شعبي، حيث إني آكل طول الوقت في مطاعم بها لحوم فقط، عرفت منهم أن المطاعم الشعبية في تركيا تسمى لوكندة! في اللوكندة أكلنا الفاصوليا الخضراء والجافة، وعرفت منهم أن من أهم أطباق الفقراء في تركيا هي الفاصوليا! أعتقد أني عرفت أين سآكل الأيام القادمة!

كان لدى موعد آخر مع الوزير المصري التجاري المفوض، في

الطريق للقائه اتصل بي واعتذر بسبب الازدحام، على وعد بلقاء صباح الغد.

عدت إلى بيت الشباب مرسلًا تقريرًا لعبد الرحمن مستفسرًا منه عن بعض الأمور المتعلقة بالعمل، اتصلت بالشاب الفلسطيني الذي قابلته في أول يوم لي في إسطنبول في المترو،كنت أحتفظ بالكارت الشخصي الخاص به، اسمه أحمد، فلسطيني من عرب ثمانية وأربعين، يحمل جواز سفر إسرائيليًّا! هذه أول مره أتعامل مع عرب ثمانية وأربعين! وللأسف كل ما أعرفه عنهم هو معرفتي بالمفكر عزمي بشارة وعضوة الكنيست الإسرائيلي حنين الزغبي، بهرني الشاب بشخصيته وخبرته في الحياة على الرغم من صغر سنه، لقد كان يدخن بشراهة، ويشرب خمورًا أحيانًا، وأحيانا يشرب أشياء أخرى، قال لا داعي لذكرها، أبلغني أنه لا يصلي! لكنه دائم الكلام عن الإسلام، وعن الخلافة الإسلامية، وكيف أن لا حل للعرب بدونها! المفارقة أن أكثر الشخصيات تأثيرًا فيه هو الشيخ الشعراوي! كان دائم الاستشهاد بالأحاديث والقراءن، على الرغم من صغر سنه البالغة خمسًا و عشرين عامًا، فقد رأيت فيه خبرة وطريقة جيدة للتفكير، أو على الأقل هذا ما بدا عليه، يتحدث التركية بطلاقة حيث درس التركية ليتأقلم مع الشعب التركي بسرعة، يعيش في تركيا منذ ثماني سنوات، لكنه أمضى آخر خمس سنوات فيها دون أن يغادرها لفترة طويلة، وقبل ذلك كان يسافر إلي تركيا ثم يعود أدراجه، تكلمنا عن التاريخ التركي والسياسة، ولفت انتباهي أنه لا يوجد بلد اسمه تركيا إلَّا حديثًا كالسعودية مثلًا، فتركيا منسوبة لكمال أتاتورك، قبل هذا

كانت تُسمى الإمبراطورية العثمانية، كما نبهني إلى أن تركيا الحالية هي خليط من عدة شعوب: الأرمن، البوسنيين، البلغار،الصرب، العرب، مهاجرين من دول الاتحاد السوفيتي السابق، أما تركيا الأصلية فهي من قبائل وسط آسيا استوطنوا ما يُسمى بتركيا الآن منذ مئات السنين، لهذا سنجد أناسًا ذوي عيونٍ ضيقةٍ كثيرًا وهم السكان الأصلون.

سألني عن سبب وجودي في تركيا، فأبلغته بقصه الرخام، فعرض المساعدة، فوافقت موضحًا ضرورة استشاره شريكي في العمل وسؤاله عن كيفية حساب نسبته من المكسب، والطريقة المثلى للتعاون.

لقد أعجبت بهذا الشاب جدًّا واسترحت له، وأعتقد أني سأقابله مرات أخرى، لقد ذكرني بعزمي بشارة وحنين الزغبي، أعتقد أن العيش تحت مظلة الاحتلال الإسرائيلي قد أثرت على عرب ثمانية وأربعين، وزادت من وعيهم وخبراتهم في الحياة عن العرب العادين.

أخذت طريق العودة إلى بيت الشباب، لكني غادرت المترو قبل سلطان أحمد بمحطتين؛ من أجل البحث عن لوكندة أو مطعم رخيص، للأسف وجدت معظم المحلات والمطاعم مغلقة حيث تبدأ إسطنبول في النوم من الساعة الثامنة والآن الساعة العاشرة مساء! المطعم الوحيد الذي وجدته مفتوحًا كان قد نفذ منه كل الطعام ما عدا شوربة الكوارع اللذيذة، أنهيتها فرحًا بثمنها الرخيص: خمس ليرات.

أثناء تنقلاتي خلال اليوم، كنت بدأت استخدام الكارت الذكي، وهو عبارة عن كارت تستخدمه في المترو والأتوبيس والعبارة، الكارت في حجم كارت الفيزا الخاصة بالبنوك أو في حجم الكارت الشخصي تقريبا، اشتريت الكارت بسبع ليرات، وعند إرجاعه تأخذ ست سواء استخدمته أم لا، ويتم شحنه بنفس أسلوب شحن الموبيل، تزيد الرصيد كلما شئت، وبالمبلغ الذي تريده، يقدم الكارت الذكي خدمة رائعة، وهي توفير الوقت، حيث لا تضطر كل مرة إلى الوقوف عدة دقائق أمام المحطات لشراء التذاكر، كما يقوم بعمل ذكي بتوفير النقود حيث يقوم بتخفيض قيمة التذاكر كلما استخدمته أكثر من مرة في خلال أقل من ساعتين! يعني أرخص وعمليًّا أكثر.

أرى الجمال و لا أشعر به

23- 11- 2011

الغرفة بدأت تعج بالمزعجين! شاب أمريكي، وفتاة أسترالية مزعجة، تضحك بصوت عالٍ جدًا في الغرفة، والناس نيام، أيقظتني عدة مرات بصوت ضحكاها!

أثناء الإفطار تناقشت مع الرجل الفرنسي عن السياسة الفرنسية الداخلية، صعقتُ مما أبلغني به عن أن الحكومة الفرنسية هي عصابة تتحكم جيدًا في الشعب، وتحبط أي محاولة للتغيير مستخدمة أحدث الأساليب التكنولوجية في السيطرة على الشعب، واختراقه وتدمير أي محاولة للتغيير بشكل استباقي، سيارات فارهة، مستوى المعيشة الراقي، التعليم الأفضل، المستشفيات الممتازة، كل هذا مستخدم من قبل العصابة الحكومية والطبقة الغنية المحيطة بها والمستفيدة منها، ولكن للمفارقة يعيش معظم الناس في فرنسا في فقر مدقع ويزداد

عدد الفقراء يومًا بعد يوم، كما بدأت فرنسا تتحول إلى تجمعات للعصابات، مثل نيويورك في الولايات المتحدة حيث تتجمع العصابات في اتحادات من أجل السيطرة على المناطق!

ابتعدنا قليلًا عن السياسة وذهبنا للخمور، وكيف أنها من مكونات الشخصية الفرنسية، جادلته بأن الغربيين يستخدمونها لمقاومة البرد، فرد أن الناس في باكستان و أفغانستان لا يشربون الخمور مع أنها أكثر بردًا من فرنسا!

شيء غريب أن ينام المرء في مكان واحد تشترك فيه السيدات مع الرجال! يوجد الآن في الغرفة ثلاث فتيات! ألا يعرف هؤلاء معني الحياء؟!

أول مقابلة لي اليوم كانت مع الوزير المصري التجاري المفوض، رجل مصري تمامًا، خبير بالسوق، وساعدني جدًا حيث أعطاني معلومات وافية وجهز لي قائمه بأكبر شركات الرخام في تركيا التي تستورد رخام، كما أعطاني قائمة أخرى بالمعارض التي ستقام عن الرخام في تركيا في العام القادم، يعمل معه في المكتب رجل و سيدة تركيين يتحدثان العربية قليلًا، الرجل يبلغ من العمر ثمانية وثلاثين عامًا، عمل في السعودية فترة من عمره، هو من أنطاكية التي تقع في جنوب تركيا، حيث الكثير من الأصول العربية، لقد شعرت بالألفة معهما، فقد كانا بشوشين وهادئين.

بعد ذلك توجهت لمقابلة المدير التسويقي لمصنع الزجاج الموزيكي من سفرنبول. اتصلت به محاولًا أن أخذ العنوان، لكنه رفض وصمم

أن أستقل تاكسي، عضضت على شفتي لاضطراري ركوب تاكسي، لكن على أي حال كنت قريبًا من المكتب، و لم يستغرق التاكسي وقتًا طويلًا حتى وصل. فوجئت بشخص يدخل التاكسي ويسلم علي! فقد عرفني المدير الشاب بمجرد أن رآني رغم أنني لم أعرفه، شاب بشوش متدين، جاد، مجتهد، في أواسط الثلاثينيات، اسمه عبد الله، أخذني إلى مطعم، ودعاني إلى غذاء فآخر تقريبًا بلغ ثمنه 120 ليرة، أي حوالي 400 جنيه مصري، حاولت إثناءه عن كل هذا، ولكنه أصر، كان كريمًا جدًّا، اصطحبني إلى مكتبه وتكلمنا عن الرخام، استخدم عبارتين أكثر من مرة "إن شاء الله" و"الحمد لله"، تحدثنا عن الجمارك المفروضة على البضائع المتوجهة إلى مصر ووجدته ملمًا بكل التفاصيل، كما أبلغني عن الإجراءات المتبعة للتصدير لإيران. تحدثنا عن حياته وجولاته المختلفة في العالم، قام بعمل رحلة سفاري على فيل لمدة عشرة أيام في تايلاند على ما أتذكر!

انتهى لقائي به، استرحت لهذا الشاب، ولمع في ذهني وميض الزواج بتركية و الاستقرار بتركيا.

كان من المقرر أن أقابل الشاب الفلسطيني أحمد الذي قابلته بالأمس لكنه اعتذر، قررت أن أعود إلى الفندق سيرًا على قدمي حيث كانت الساعة الخامسة و النصف مساء، وكنت على بعد سبع محطات مترو من سلطان أحمد، المناطق التي كنت أخترقها في طريق العودة ليست بالسياحية، الكثير من المحلات و الأنوار المتلألئة على الجانبين، جميلة إسطنبول! لكني وحيد أسير فيها! أرى الجمال ولا

أشعر به! الوحدة قاسية جدًّا، راودتني أمنية أن أعود فأجد بانتظاري بيتًا دافئًا، حمامًا ساخنًا نظيفًا، غرفة مرتبة، نومًا مريحًا، طعامًا جيدًا، لكن السير على القدمين لمدة ساعة و نصف في درجة حرارة أربعة مئوية، ثم طعام الوكنده، فالنوم في عنبر، وانتظار في طابور لدخول الحمام، وانتظار في طابور آخر لاستخدام الإنترنت، أمور لم أكن أرغبها، لكن لم يكن باليد حيلة!

أثناء سيري تبادر إلى ذهني أنا أعود في الحال لمصر! ليس حبًّا في مصر، و لكن افتقادًا للأهل و الحنان و الدفء!

بعيدًا عن الخيال، تناولت الطعام في اللوكندة، وصلت العنبر، نمت واستيقظت عدة مرات بسبب أصوات المزعجين، كما أني استيقظت عدة مرات أخرى للذهاب لدورة المياه بسبب البرودة!

هكذا المسافر، يفقد في الصباح ويكسب في المساء

24- 11- 2011

استيقظت باكرًا جدًّا على غير العادة، لأول مرة أصلي الفجر في المسجد منذ وصلت إلى إسطنبول، المسجد بارد جدًّا، الجو خارج المسجد أكثر برودة تصحبه أمطار خفيفة.

اكتشفت أن الرجل الفرنسي قد ذهب و أيضًا الشاب الإنجليزي، لقد تأثرت جدًّا بالرجل الفرنسي، لقد ألهمني هذا الرجل بأن أسافر مثله، سيرًا على القدمي، طريقه جيدة للسفر، رخيصة، وتكسبا صلابة.

من المقرر اليوم أن أهاتف شركات كثيرة من أجل محاوله مقابلة أي منهم؛ لعرض منتجاتنا، فرغ الرصيد في الموبيل، ووجب علي أن أزيد الرصيد لأول مرة منذ أن وصلت، كما أني أريد شراء محولًا

لمكينة الحلاقة؛ لأنها ذات ثلاث أذرع،، وليس اثنتين، لقد اشتريتها في السعودية حيث تنتشر الفيش الثلاثية، أما في مصر واليمن وروسيا وتركيا فلا يوجد بها سوى الفيش الثنائية، كان من المثير البحث عن قطعة كهربائية في بلد لا تعرف لغتها ولا يتحدث شعبها أي لغة مشتركة! كما كان وصف الموقف بالإشارات للناس صعبًا جدًّا، استمر بحثي حوالي ساعتين، أجول خلالها بنظري بين المحلات المختلفة باحثًا عن كهربائي، دخلت سوقًا شهيرة جداً قريبة من سلطان أحمد تقع في حي فقير، سوقة للأتراك وليس للسائحين، معظم السائرين في السوق أتراك، أستطيع أن أصفهم بأنهم من الطبقة المتوسطة أو الفقيرة، سوقة ضخمة، يوجد بها كل شيء، مقسمة إلى أقسام:

قسم للأطعمة والعطور والمكسرات والحلوى،وقسم للملابس الجلدية،وهكذا، دخلت محل يبيع جوالات محاولًا زيادة رصيد جوالي، لكن بلا فائدة! لكني نجحت في شراء المحول من هذا المحل! محول سيئ جدًّا، لكنه أدى الغرض.

في أثناء العودة، لمحت محلًّا صغيرًا معلقًا عليه يافطة " turkey cell" وتوسمت أن يكون محلًّا به كروت زيادة الرصيد، بدخولي المحل وجدت شخصين، أحدهما تعرف إلي وقال أنت؟! أنت تتحدث الإنجليزية بلكنه غريبة! في البداية لم أعرفه لكن بعد قليل تذكرته، إنه أحد أصحاب المحلات التي دخلتها محاولًا شراء عطور، كان يحاول بيع عطر غالٍ جدًّا لي مما يخالف مبدئي، لقد كانت لكنته الإنجليزية غريبة جدًّا، وضعيفة جدًّا، لكن لم أعلق عليه وأبلغته فقط أني تذكرته،أبلغوني بأن ثمن زيادة رصيد خمسين ليرة هو إحدى وخمسون

ليرة! سألت: لماذا الواحد؟ فردوا أنه ثمن شحنهم الرصيد لي ! لا أعرف إن كانوا يخدعوني أم لا؟! فهذه ليرة كاملة! على أي حال لا وقت لدي لأضيعه في تجربة الشحن بنفسي، فتقبلت أن أنخدع بهدوء، أُذن لصلاة الظهر فذهبنا للصلاة، وبمجرد عودتنا بدأ الشاب الذي يعرفني بالاستماع إلى بعض الأغاني التركية! بدأت أتحدث معه قليلًا مستفسرًا عن مقدرته على التكلم بلغة عربية بسيطة فأشار إلى أن أجداده من العرب، وليسوا أتراكًا، أصوله تأتي من سوريا، ثم اتجه الحديث لإسطنبول، وأثنيت عليها، فتذمر الشاب، وبدأ يشكو أن إسطنبول للأغنياء فقط!وكيف أنه يعاني عدم مقدرته على شراء سيارة مرسيدس ثمنها 56000 ليرة! وكيف أنه بعيش فقط على ثلاثة آلاف ليرة في الشهر! وكيف أنه يستأجر المحل بسته آلاف ليرة شهريًّا!

طلبت منه أن يدلني على لوكندة قريبة أو مطعم رخيص، اندهش لمعرفتي باسم لوكندة وأعتقد أنه استهزأ بي بالتركية مع صديقه، لكني تجاهلت الأمر، وكنت ابتسم ابتسامة خفيفة، أن مقدرة السائحين على فهم الأمور المحيطة بهم، وعدم إظهار رد فعل لهي من الأمور المدهشة!

اصطحبني إلى لوكندة، فحفظت عنوانها عن ظهر قلب حيث كانت أقرب اللوكندات لبيت الشباب.

بعد بضع ساعات وعشرات المكالمات إلى الشركات، توجهت إلى اللوكندة ممنيًا نفسي بوجبة كبيرة شهية ورخيصة!

طلبت أربعة أطباق مختلفة بينها الحلوى معتقدًا أنها أطباق صغيرة! لكن للأسف كانت أطباقًا كبيرة، فكرت أني سأوفر الكثير من المال بعد ذلك! أنهيت الطعام بصعوبة شديدة، فوجئت بالسعر 11 ليرة، كدت أرقص فرحًا، أربعة أطباق بـــ 11 ليرة، أيه الهنا الي أنا فيه ده، يا ليل يا ليل يا ليل.

هذه الوكندة تشبه مطاعم الفول، والطعمية في مصر، نفس الازدحام، تقريبًا نفس الديكور.

هممت بالمغادرة، وكم كانت دهشتي عندما توجه أحد العاملين لى بالكلام، كان يتحدث العربية! وانضم له آخر، كانا يودان التحدث معي – إن سعادتي بهذه اللوكندة تتخطى رخص الأسعار بها بل تذهب إلى أبعد من ذلك، إنهما شابان عراقيان، لقد فقدت هذا الصباح أصدقاء سعدت بمعرفتهم، وهأنا أكتسب آخرين في المساء! لكم تمنيت أن أتعرف على أي شخص من بلاد الرافدين.

فهمت منهما أنهم أخوان لاجئان مع عائلتيهما في تركيا بعد أن رفضت كل الدول العربية استضافتهما! تركا كل شي في بغداد بعد تلقيهما تهديدات بالقتل، لا أعرف لماذا؟ لكني تآلفت مع هذين الشابين على الفور،كانت أخلاقهما تعكس ما اشتهر به أهل العراق من أصالة وطيبة و ذكاء وكرم، تكلمنا عن الأتراك وأبلغاني أن حياة اللاجئ صعبة جدًّا، وكيف أن الأتراك يختلفون عن العرب خاصة في التعاملات المادية، وكيف أنهما يحصلان على راتب سبعمائة ليرة!و كيف أنهما يستأجران شقة في أطراف إسطنبول على بعد ساعة كاملة

بالقطار من سلطان أحمد حيث يعملون! لقد تعاطفت معهما خاصة مع أخلاقهما الرائعة، وذكراني باليمنيين، تركتهما على وعد باللقاء في يوم آخر قريب.

فجأه انقطع حزام بنطالي الرخيص، اضطررت للذهاب إلى السوق التي ذهبت إليها صباحًا آملا أن أجد أي محل مفتوح في هذه الساعة، كانت الساعة الثامنة تقريبًا، لكن لم أجد أي محل مفتوح إلا محلات رهانات الخيل!

شارع الاستقلال

25- 11- 2011

أُصبتُ بإحباط في أعقاب اكتشفاي لعدم وجود أي مياه في بيت الشباب في الصباح الباكر! هذا يعني أن أنتظر حتى يستيقظ كل قاطني البيت حتى تقوم الإدارة بتوفير مياه بطريقة ما! فلينتظر الاستحمام قليلًا، فكرت لماذا أبتئس من تأخُّر الحمام الساخن بضع ساعات؟! وتذكرت أني ذات مرة أمضيت في رحله السودان عشرة أيام منتظرًا الاستحمام! وكانت أيام تكثر فيها الرياح الترابية والعرق! على الرغم من اختلاف الوضع الذي أنا فيه الآن، أسكن في عنبر فخم، أستحم يوميًّا، آكل يوميًّا، أضع العطور!

بعد تناول الفطور المتأخر، ذهبت إلى السوق علني أستطيع إصلاح الحزام، تجولت لمدة ساعة كاملة متبعًا نصائح البائعين، كنت أحاول الوصول إلى محلات الأحذية،في أحدها قام العامل هناك

بإصلاح الحزام رافضًا رفضًا قاطعًا أن يتقاضى أجرًا مقابل إصلاحه!

كان يوم الجمعة، كعادة تركيا، أنهينا الصلاة والخطبة التركية سريعًا!

كان من المخطط أن تكون رحلتي لتركيا عبارة عن جزءين، أولهما عمل في مجال الرخام، وثانيهما سياحة، بعد أن رأيت أن تركيا بلد ليس بالرخيص، قررت تمضية الجزء الخاص بالسياحة متطوعًا في مزرعة حيث سآكل وأشرب وأنام في مقابل أن أعمل في المزرعة، اختيار المزرعة سيتم عن طريق مؤسسه تركية، تقوم المؤسسة بعرض المزارع على موقعها مما يتيح للمتطوع اختيار المزرعة ومن ثم تقوم المؤسسة بالاتصال بالمزرعة وتفعيل الاتفاق بين المتطوع والمزرعة لتحديد الموعد ومدة التطوع، من المقرر أن أذهب اليوم الجمعة إلى مقر المؤسسة و أدفع رسوم الخدمة وهي 60 ليرة، مقر المؤسسة يقع في شارع الاستقلال، أشهر شوارع إسطنبول، به محلات وأنوار على الجانبين، والشوارع الجانبية مليئة بالنوادي الليلة، والمقاهي والمطاعم، الشارع واسع يخترقه في المنتصف ترام قديم يبدو سياحيًا أكثر منه خدميًا، أرض الشارع من الحجارة الصغيرة مربعة الشكل، رائحة الشارع شهية جدًا قادمة من محلات الأكل، أستنشق الرائحة فتبدأ معدتي بالصراخ، أرى محلات الحلوى والشيكولاتة، فلا أشعر بقدمي، و هما تقتربان من المحل، تتحرك يدي على الرغم مني لتقبض على بعض قوالب الشيكولاتة، فأنا مهووس بها، كنت آكل الكثير منها في روسيا، وحان الآن ميعاد أكلها في تركيا،اشتريت والتهمت شيكولاتة

لذيذة، اشتريت قطعة أصغر من حجم اليد بحوالي 11 ليرة تركية، أي ما يعادل حوالي 40 جنيهًا مصريًا مقررًا ألا أشتري طعامًا اليوم، وأن آكل قطعة الشكولاتة طوال اليوم بعد تقسيمها قطعًا صغيرة، بين الفينة والأخرى أرى عازفين على جانبي الشارع، يعزفون من أجل أن يعطيهم الناس بعض النقود، لا أقترب كثيرًا من هؤلاء حتى لا أضطر أن أدفع شيئًا، في بعض الأحيان كان العازفين يبدون كعازفين من بلاد أخرى كشيلي أو إسكتلندا، إن تفاصيل هذا الشارع تبدو مطابقة لشارع في موسكو اسمه أربات!

أنهيت دفع المال في مقر المؤسسة الخاصة بالتطوع في مزرعة وأخذت منهم إميل و تليفون صاحب المزرعة، عرفت منهم كيفية السفر للمزرعة، عن طريق استخدام أي من ثلاث شركات للنقل، كان مقر شركات النقل في تاكسيم في نهاية شارع الاستقلال، ذهبت سريعًا إلى شركات النقل، وقارنت الأسعار، فاخترت أرخصها وحجزت الباص الليلي حتى أنام أثناء السفر، فأوفر المبيت في فندق لمدة ليلة.

عدت إلى بيت الشباب عن طريق شارع الاستقلال فكوبري جالتا فالسوق الشعبية، فسلطان أحمد فبيت الشباب، اتصلت بالشاب الفلسطيني ثانية لأقابله مرة ثانية، اتفقنا على أن نتقابل في تاكسيم! اضطررت أن أعود ثانية إلى تاكسيم، وكان الطريق إلى هناك يستغرق تقريبًا حوالي ساعة وخمس عشرة دقيقه سيرًا على الأقدام، كنت قد ذهبتُ وعدت سيرًا على قدمي في الصباح، وهأنا أذهب مرة ثانية و

أعود سيرًا على الأقدام أي حوالي خمس ساعات سيرًا! كانت الساعة حوالي السادسة مساء عندما بدأت أسير في شارع الاستقلال، رأيت شيئًا جديدًا في الشارع، رأيت مظاهرة نسائية، لا أعرف ما هو موضوع المظاهرة، فهم يتكلمون بالتركية، ويحملون لافتات مكتوبة بالتركية، ويرفعون صورًا لسيدات ورجال! حاولت مع أكثر من واحدة منهن لأعطائي الصور، والتحدث معي، لكني لم أفهم شئًا، كان يوجد بعض رجال الشرطة والمصورين، تركتهم، في نهاية الشارع كان هناك مظاهرة أخرى في الاتجاه المضاد، معظمها من الشباب، يرفعون صور شخص ما، يبدو لي رئيس حزب أو سياسيًّا ما.

سألت أحمد الفلسطيني عن المظاهرات فأبلغني أن هذا الشارع به يوميًّا مظاهرات مختلفة، أكراد، شيوعون، أنركست، وهكذا كل من يريد عمل مظاهرة يأتي لهذا الشارع.

اصطحبني أحمد لكافتيريا في شارع جانبي متفرع من شارع الاستقلال يصفها بأنها كافتيريا الشيوعيين، حيث يأتي الكثير من الماركسيين، لم تبد لي بأي حال من الأحوال، أنها كذلك ولا حتى روادها يبدون كشيوعيين يمتون بأي صله بلنين أو ماركس، بل كانوا يبدون لي كالشيوعيين الجدد حيث تختلف صورة الشيوعيين الحاليين عن الشيوعيين اللينين، فشيوعيو القرن الجديد يتمتعون برفاهية الرأسمالية.

سألت أحمد عن الفتيات التركيات، فقال: إنهم جيدون، فقط أن كانوا من خارج إسطنبول لأن معظم فتيات إسطنبول تورطن في

علاقات إما عابرة أو دائمة، ذكر اسم بلده في شمال تركيا قريبة من البحر الأسود، وقال: إن عامة العائلات هناك محافظة جدًّا و الفتيات جيدات جدًّا،كما أثنى على سهولة الزواج في تركيا عن الدول العربية، حيث يكلف الزواج في تركيا في الحد الأدنى حوالي ستة آلاف ليرة تركية يشمل إيجار البيت والأثاث!

تحدثنا في العمل و أبلغته بموافقة شريكي في العمل على أن يقوم بالدعاية، والتسويق في مقابل نسبة، وبدأنا نتناقش عن كيفية إتمام هذا الأمر، اقترح سوقًا لبلد آخر غير تركيا! إسرائيل! فوجئت بذلك، ولكنه حاول تهدئة مخاوفي، وذكر لي أنه سيسوق بين عرب ثمانية وأربعين موضحًا أن تكلفة النقل بين مصر وفلسطين ستكون أقل عن تركيا! بدأت أقلق لكني شعرت أني لن أخسر شيئًا حتى ينتهي من كلامه!

انضم لنا شاب تركي صديق له، وبدأ الحديث عن السياحة الخليجية في تركيا، و كيف ينفق الخليجيون الكثير من الأموال، أنهيت اللقاء و غادرتهم عائدًا إلى بيت الشباب.

نقلتُ أشيائي وحقائبي إلى السرير أسفل المدفأة، حذرني الشاب الإيراني أن درجة الحرارة لا تطاق أسفل المدفأة ووصفها "بالبربكيو"، لكني كنت أشعر بالبرد طوال الليل فقررت تجربة البربكيو لأقارن.

يوم جميل

26- 11- 2011

أول مرة أشعر بهذا الدفء أثناء الليل على الرغم من برودة الجو حيث تبلغ درجه الحرارة 2 مئوية! لم أستيقظ حتى أثناء النوم! يبدو لي جليًا أن بقية أيامي في العنبر ستكون بربكيو! لم أشعر بالبرد حتى عند خروجي من بيت الشباب، وذهابي لصلاة الفجر في المسجد!

بعد الأذان لصلاة الفجر ينتظر الإمام حوالي نصف ساعة كاملة حتى يأتي أكبر عدد ممكن من الناس، يأتي عادة في صلاة الفجر حوالي خمسة عشر شخصًا فقط، ومعظمهم من كبار السن، يبدأ مساعد الأمام أذان الإقامة بصوت رخيم باللغة العربية الممزوجة بلكنة تركية، يستطيع بعض الأتراك قراءة القرءان وبعض النصوص العربية بدون فهم أي شيء، تبدأ صلاة سريعة إلى حد ما، ولا يقولون: أمين عند نهايه الفاتحة! عند نهاية الصلاة يسلمون في نفس الوقت مع الإمام، وليس بعده! بعد انتهاء الصلاة مباشرة يبدأ مساعد الإمام في تلاوة

الأذكار بصوت عالٍ وأيضا التسابيح، فيبدأ رواد المسجد باستخدام مسابح، أعطاني أحدُ المصلين مسبحة لأسبح، فاستحيت أن أرفض، وأخذها منه، ولم أستعملها ثم أرجعتها في النهاية، بعد التسبيح يبدأ مساعد الإمام في الدعاء، ثم يبدأ الإمام في قراءة القرءان، و بهذا تنتهي مراسم الصلاة!

بدأ النشاط اليومي المعتاد، إفطار وإنترنت ودردشة مع شخص ما، هدف اليوم هو حجز تذكرة طيران عودة لمصر بعد أسبوعين وهو موعد انتهاء تطوعي في المزرعة، أرخص تذكرة كانت على شركة مصر للطيران، أخذت عنوان مقر الشركة من الإنترنت، قبل ذهابي لاحظت أن موبيلي لا شبكه فيه! في البداية اعتقدت أن لا شبكة في المكان! استمر الجوال هكذا فترة، حاولت غلقه وإعادة تشغيله لكن بلا فائدة! لاحظت محلًا لفودافون فدخلت، وسألت العاملين فقالوا: إن جوالي تم إيقافه و ليس خط التليفون بل الجهاز نفسه! سألت: لماذا؟ أجابوا أنه يجب على جميع حاملي أجهزة موبيل غير التركية أن يسجلوا جهازهم عند دخول البلاد لفترة لا تتعدى خمسة عشر يومًا! أعطوني عنوان المركز الرئيسي لأذهب إليه وأسجل الجهاز، أخذت أسير حوالي ثلاث ساعات على قدمي من أجل إيجاد المركز حيث أعطاني أكثر من شخص اتجاهات خاطئة عند سؤلي لهم عن العنوان، وهناك طلبت من الموظف تسجيل الجهاز فأبلغني بكل بساطة وهدوء أننا لا نقوم بتسجيل الأجهزة هنا، وطلب مني العودة إلى المقر في تاكسيم، شعرت بالغضب من الأتراك الذين تسببوا في سيري لمدة ثلاث ساعات هباء، وبدا صوتي يعلو على الموظف مبديًا

امتعاضي من الخدمة وأني سأشكوهم بسبب أني سألت في أكثر من محل خدمة فودافون، وكلهم أجمعوا على الذهاب إلى المركز الرئيسي لتسجيل الأجهزة، وبعد كل التعب بمنتهى البساطة تقول لي لا نسجل، تركته غاضبًا وأنا لا أعلم ماذا أفعل، عدت سريعًا لنفس المكان الذي اشتريت منه خط الفودافون، وسألت الموظف: ماذا على فعله؟ فاقترح أن أذهب إلى المطار أو أن أشتري جهازًا تركيًّا مستعملًا، فكرة شراء جهاز آخر لا تبدو مشوقة، مكلف وإن كان مستعملًا فقد يكون له مشكلات ولا أملك من الوقت ما أضيعه، لهذا قررت الذهاب إلى المطار لتأكدي أنه يعمل طوال الوقت، أربعًا وعشرين ساعة، لكنه حذرني أن التسجيل قد يأخذ مني حوالي ستة أيام! ذهبت يائسًا إلى المطار سريعًا مستخدمًا المترو، كانت الساعة حوالي الرابعة عصرًا عندما توجهت إلى الموظف المسؤول في مركز فودافون في المطار، طالبًا منه أن أسجل جهاز الجوال الخاص بي، أجابني بكل هدوء: "السيستم لا يعمل، تعالَ غدًا" نظرت إليه ببلاهة، وبدأت أضحك، رويت لهم ما حدث لي اليوم وأفهمتهم أني لا أستطيع البقاء بدون الجوال، فتفهموا الأمر، وتفضلوا مشكورين بأخذ بياناتي؛ حتى يقوموا بتسجيلها فور عودة النظام إلى العمل، شكرتهم وأكدت عليهم أني سأبقى في المطار حتى يعمل نظام التشغيل ثانية، حاولوا إثنائي عن البقاء ولكني كنت مصممًا أن أنهي هذا الأمر.

فكرتُ في تمضية الوقت في المطار في البحث عن مقر مصر للطيران وشراء تذكرة طائرة، أخذ البحث عن مقر الشركة ساعة

وربعًا تقريبًا! كلما سألت أحدهم، يقول لي في أقصى هذا الدور فاذهب إلى هناك، فأسأل عن المكان، فيبلغونني بأنها ليست هنا اذهب إلى أقصى القاعة في الاتجاه الآخر! أمضيتُ ساعة و ربعًا أسير من أقصى المطار حتى أقصاه! في النهاية وجدت المقر في دور مختلف تمامًا عما كنت فيه! أخيرًا بعد كل العناء دخلت المقر لأفاجأ بالعاملة هناك تبلغني أنهم لا يبيعون أي تذاكر، بل هو لحل مشكلات العملاء فقط!

جلست على أحد الكراسي متأملًا ما حولي و محاولًا النوم ساعة أو ساعتين، أمضيت حوالي ثلاث ساعات على هذه الحالة بين النوم والاستيقاظ والتأمل، مللت، فقررت أنا أذهب إلى مكتب فودافون ثانية، منعت من الوصول إلى المكتب بسبب وصول أفواج الحجاج؛ مما اضطر موظفي المطار لمنع دخول أحد إلى مكان فودافون حيث يصل منه الحجاج لمقابلة ذويهم، الكثير من الناس يباركون وينتظرون الحجاج القادمين من السعودية، أخذت أتحين الفرصة وأحاول مع أكثر من ضابط أمن ليدخلني لكن لا جدوى، بعد حوالي ثلاثين دقيقة استطعت إقناع أحد الضباط بالسماح بإدخالي، عرفت أن السيستم لم يعمل بعد؛ لهذا قررت العودة لبيت الشباب والعدول عن البقاء في المطار، هذا اليوم جميل جدًّا فشل في كل شيء.

استخدمت المترو للعودة وهبطت منه في أكسرى للبحث عن لوكندة للطعام، وجدت لوكندة تبيع أسماكًا وهذه هي المرة الأولى التي آكل فيها أسماكًا في إسطنبول، عامة المطبخ التركي يبدو لى فقيرًا في أطباق الأسماك!

منذ يومين لاحظت حساسية على رجلي، ولكن اليوم أشعر بها في كل جسدي! لا أعرف أهي من البطاطين التي من رائحتها تبدو غير نظيفة؟ أم من فرش السرير الذي لا يبدو بحالة جيدة؟ أنا أستحم في هذا العنبر مرة يوميًّا على الأقل، لكن لا أغير الملابس التي أخرج بها لمقابلة الناس منذ أسبوعين لسببين أولهما أني لا أملك غيرها وثانيهما أني بما أني لا أملك غيرهما فسأضطر للجلوس في بيت الشباب منتظرًا أن تجف الملابس، وهذا ما لا يجب أن يحدث إلا في يوم الإجازة.

القليل عن إيران

28- 11- 2011

أمضيت يوم أمس في الهوستل حيث أودعت ملابسي في المغسلة، بالأمس رأيت حفلة في البار على شرف أربعة رجال ذوي أشكال مريبة، عرفت بعد ذلك أنهم من المافيا التركية!

لا يوجد أحد الآن بالغرفة والهوستل إلا أربعة أشخاص:أنا والشاب الإيراني وشخصان يسافران مع بعضهما بعضًا، أحدهما دنمركي والآخر ألماني.

الشابان يسافران حول البحر الأبيض المتوسط،وصلا إلى إسطنبول قادمين من ألمانيا في شهرين بنظام الأتوستوب، يعملان نجارين، يحاولان البقاء في إسطنبول لمدة ثلاث أشهر والعمل في النجارة.

استيقظت اليوم لأجد شابًا آسيويًا انضم إلينا في الغرفة، كما لاحظت الشابين الدنمركي والألماني يرتديان ملابسهما فجرًا! أعتقد

أهما ذاهبان إلى العمل!

أصبح الجوال يعمل الآن وهذا جيد حيث أستطيع أن أجري مكالمات العمل، بعد عدة مكالمات مع الشركات، استطعت الحصول على مقابلة مع إحدى الشركات الكبيرة في مجال المقاولات، لها أكثر من فرع خارج تركيا في فيتنام و هونج كونج وكازخستان.

في أعقاب تسلمي ملابسي من المغسلة نزلت لأتمشى قليلًا بصحبة الشاب الإيراني على البحر، تمشيت لمدة ثلاث ساعات ولكني اضطررت للعودة بسبب برودة الجو.

من خلال التحدث مع الشاب الإيراني استطعت معرفة أشياء عن إيران، الشوارع أسفلتية وليست حجرية ككثير من شوارع تركيا، يضربون القطط في الشوارع، تكتظ شوارعها بالمخلفات مثل شوارع مصر، وليس مثل تركيا، يرتدون أزياء مماثلة لملابسنا، ويستخدمون موديلات جوالات مثل المنتشرة في مصر، وليس مثل المنتشرة في السعودية، أسعار بعض السلع كأسعارها في مصر، عند عودتي لمصر قرأت مقالًا عن إيران كتبه أحد المسافرين الذين تعرفت إليهم أثناء رحلتي، كان يصف فيه إيران وأكد الصورة التي ترتسم بذهني عنها، كما وصف كيف أن عبور الشارع في إيران هي عملية انتحارية، أعتقد أنه لم ير عبور الشارع في مصر! الشيئان الوحيدان المختلفان عن مصر هما أسواق السلاح العلنية والبرد الشديد، أعتقد أنه يتوجب علي زيارتها يومًا ما.

غفوت قليلا لأجد أحد العملاء أرسل لي رسالة على الجوال لمقابلته و لكن للأسف تآخر الوقت فاتصلت به و أتفقت معه على أن يكون اللقاء غدا صباحا،

بدأت في التحضير لليوم الأخير لي في العمل في تركيا، كنت قلقًا لأن من عادتي نسيان أشياء، وقلقًا أكثر مما ينتظرني في المزرعة التي سأتوجه إليها غدًا ليلًا! كنت أفكر أنه باقي لي حوالي خمسة عشر يومًا بعيدًا عن الأهل والأصدقاء!

اشتريت فاكهة لإفطار الغد، بما أني سأذهب مبكرًا جدًّا لمقابلة العملاء، و لن أتناول الفطور في بيت الشباب.

عند عودتي إلى بيت الشباب، وجدت الشاب الإيراني والألماني والدنمركي، غفوت باكرًا شاعرًا بالمرض، لا أعرف ولكني أشعر بالمرض منذ فترة وأقاوم.

اليوم الأخير في العمل

29- 11- 2011

استيقظت باكرًا جدًّا، ساعة كاملة قبل الفجر، كانت ليلة بائسة، استيقظت أربع مرات تقريبًا، ولم أنم مباشرة، راجعت ما سآخذه معي في الحقائب، وكل ما سأفعله أثناء اليوم.

كأول أمس استيقظ الدنمركي والألماني وذهبا فجرًا، أيقظت مسؤول بيت الشباب واتفقت معه على ترك حقائبي معه حتى العصر أو المساء، كان الرجل متفهمًا ومتعاونًا.

إسطنبول في الصباح الباكر هادئة جدًّا، غائمة، منعشة، الجو بارد قليلًا، لا يوجد أناس في الشوارع ولا أي محلات مفتوحة.

المقابلة الأولى كانت مع مصنع، كان الناس فيه ودودين وعملين، تحدثنا عن الرخام وعن مشروعاتهم في ليبيا وعن الرخام المصري الذي استعمله هناك، بدت عليهم اللهفة وهم يسألونني عن الجرانيت

المصري، حيث ينعدم وجود الجرانيت في تركيا، كما علمت منهم أن تركيا بها 40% من رخام العالم، سألوني إن كنت سأذهب إلى الجزء الأوربي من إسطنبول، فاعتذرت لهم حيث إني سأقابل عميلًا آخر، فسألوني عن اسمه، دهشوا عندما أخبرتهم باسم الشركة التي سأذهب إليها، حيث إنها كانت من أهم عملائهم!

تجولت قليلًا في أنحاء المنطقة، حيث إنها منطقة صناعية أخرى لتصنيع الرخام، ثم توجهت إلى الشركة التالية.

سائر على قدمي لمد ساعتين أملًا في الوصول وتوفير نقود الحافلة لكن لا جدوى، يبدو أن الشركة تقع في مكان بعيد، لذا اضطررت لركوب ميكروباص، المنطقة رائعة الجمال تبدو منطقة لعلية القوم، أرى الناس تمارس رياضة العدو والدرجات على الشاطئ، بعض الناس يتزهون كلابهم، لا أرى سيارات غير الأنواع الفارهة فقط، ، بي إم دبليو، مرسيدس، بورا.

أمرأة عملية جدًّا، هي المديرة المسؤولة عن الرخام في الشركة، فهمت منها أن الرخام الأبيض هو الأكثر انتشارًا في كازخستان.

في أثناء عودتي إلى بيت الشباب قابلت رجلًا وأخته، الرجل تخطى سن التقاعد، وأخته كذلك، يقوم الرجل باصطحاب أخته في جولة في أنحاء إسطنبول، حيث تزور السيدة إسطنبول لأول مرة، كان الرجل مديرًا في بنك، وأبلغني كم هو محظوظ؛ لأنه استطاع جمع مبلغ من المال ليعيش عليه بعد التقاعد، بما أن راتب التقاعد لا يكفيه حيث يتقاضى معاشًا قدره ألف ليرة فقط!

بقيت لى حوالي سبع ساعات حتى أغادر إسطنبول متوجهًا إلى المزرعة، لذا فكرت في إضاعة أكبر وقت ممكن بالتسكع في شوارع المدينة الجميلة، استغرق ذلك ما يقارب ثلاث ساعات ثم توجهت إلى بيت الشباب.

و كان عدم النوم جيدًا،القلق مما ينتظرني، برودة الجو، السير على قدمي لساعات، الوحدة، اجتمع كل ما سبق ليجعلني أشعر بضعف شديد وانهزامية، أكره هذه اللحظات.

ذهبت إلى المكتب الرئيسي لشركة النقل حيث يجب أن أذهب هناك قبل تحرك الحافلة الرئيسية بساعة، لكني قررت (الاستهبال) والذهاب الساعة العاشرة مساء، لأني بلا مأوى وأحمل الكثير من الحقائب الثقيلة وأرغب في النوم، سألت الموظف عن ميعاد الباص الذي سيقلني إلى الحافلة الرئيسية – كنت أعرف الإجابة مقدمًا – أبلغني أنه بعد ساعة فاستأذنته إن أترك حقائبي فسمح لي، لكني لم أستأذنه في النوم في المكتب، حاول أكثر من مرة أن يفهمني أن الباص سيأتي بعد ساعة راغبًا أن أترك المكتب، لكني كنت أنظر ببلاهة مستغلًا أنه يتحدث التركية، وأني لا أفهم وأكرر اسم الباص وأشير للساعة الحادية عشرة حتى سأم مني، وتركني أنام ساعة كاملة حتى أتى الباص ليقلني إلى الحافلة الرئيسية!

وصل الباص وأقلنى للحافلة، وبدأت ليلة من العذاب.



الجزء الثاني

أحب ألعب في الطين

30- 11- 2011

ليلة سيئة جدًّا، المحاولات المتعاقبة للنوم في الحافلة لم تنجح النجاح الكافي، أنام ساعة ثم أستيقظ عشرين دقيقة ثم أنام، هكذا حتى قررت الاستيقاظ السابعة صباحًا، ما شاء الله تبارك الله! جبال خضراء تنحدر إلى البحر،أشجار لا نهائية على الجانبين،مرتفعات ومنخفضات، طرق ملتوية عبر الجبال، ضباب على سطح البحر، أشعة شمس الشروق تحاول اختراق الضباب وتنعكس على المياه الباردة، بيوت وقرى من حين لآخر، أغلبها بيضاء نظيفة، ذكرتني باليمن لكن المناطق التي رأيتها في اليمن لم تكن بجوار البحار، بل داخل البلاد فلم أر تأثير البحر وشروق الشمس عليه، كما لم أر درجة الحرارة المنخفضة، حيث كنت في الصيف،كما أنها تختلف عن روسيا، حيث كل ما رأيت في روسيا منبسط، لا جبال بل أراضٍ منبسطة خضراء وثلوج.

نزلت من الباص في مكان ما عندما أخذت أردد للسائق اسم القرية، لا أعرف المكان، ولكني كنت لسبب ما لست قلقًا، بل متفائلًا، سألت أحد الأشخاص عن المزرعة، وأخذت أردد أسم المزرعة و هو يجيب بالتركية ثم اصطحبني إلى مكان قريب وجدت به بعض سيارات الأجرة،تكلم معي أحدهم بالتركية فرددت اسم المزرعة، فأجاب "أوك" أشرت بيدي، ورددت "ليرة" فأشار لورقة من فئة العشرين ليرة، تمام، لقد أبلغني صاحب المزرعة أن سيارات الأجرة ستأخذ عشرين ليرة.

تقع قرية كوتشكوى على بحر أيجة في غرب تركيا، سارت السيارة الأجرة بطول الساحل لمدة حوالي خمس دقائق، ثم انحرفت صعودًا في اتجاه جبل لمده خمس دقائق أخرى، تسير السيارة في طريق أسفلتي على الجانبين أسوار تفصل الطريق عن مزارع، بعض القرويين يسيرون، يرتدون ملابس مختلفة عن أهل المدن، الرجال والسيدات يرتدين بناطيل واسعة جدًّا، السيدات يرتدين أخمرة على رؤوسهن، الملابس - ككل شيء من حولي - نظيفة جدًّا.

انحرفت السيارة في طريق جانبي بأوله يافطة مكتوب عليها، اسم المزرعة، أرى شابًّا و فتاة يدخنان السجائر على البوابة، عبرنا البوابة ودخلت السيارة إلى داخل المزرعة.

أحاط بي ورحب كل من بالمزرعة، رجل ورفيقته أو زوجته بريطانيان، شاب بريطاني وفرنسي، الفتى والفتاه الفرنسيان اللذان كانا يدخنان السجائر على بوابه المزرعة، المرأة المسؤولة عن المزرعة

وطفلتها الصغيرة حديثة السن.

جلست في مكان ما عرفت بعد ذلك أنه مكان تناول الطعام وهو مطبخ مفتوح، يوجد بوتجاز وحوضان لغسيل الأواني وطاولة كبيرة تكفي لحوالي 12 شخصًا، فوق الأحواض توجد الكثير من الأواني والملاعق، لا يوجد إلا حائطان فقط، حائط عند الأحواض وحائط متعامد عليه عند البوتجاز.

تجمعنا حول الطاولة لعمل اجتماع! وكان من نصيبي أن أعمل مع المدير التنفيذي، هو لويس الشاب الفرنسي، يبدو غير مهندم، أول عمل تم إسناده لي هو اللعب في الطين! يحتاج لويس إلى من يساعده في عمل طين لتثبيت حائط الحمام، وتقوم المزرعة بعمل كل شيء تحتاجه بأشياء طبيعية، ولا تستخدم أي شيء صناعي، الصابون المستخدم لغسيل الوجه هو من صنع المزرعة من أشجار الزيتون، الحوائط كلها من الأخشاب و الطين، الطاقة المستمدة للإنارة من ثلاثة مصادر، الشمس والرياح وقوة دفع المياه، الأكل كله خضراوات و فاكهة وزيت زيتون لأن أصحاب المزرعة لا يأكلون لحوم ألبتة!

طلبت منهم بعد معرفه عملي وانتهاء اجتماعهم المبجل أن أذهب إلى الغرفة المقررة لي لأضع حقائبي، الغرف عبارة عن حجرات خشبية بالكامل، صغيرة بها سريران، أحدهما مكون من طابقين، يستطيع ثلاث أشخاص النوم في الغرفة الواحدة، بها جهاز للتدفئة الذي يعمل بالحطب المقطع من الأشجار المحيطة بالمزرعة.

الطين الذي سنقوم بتحضيره أنا و لويس عبارة عن مياه مخلوطة بالتراب و القش، يجب تنقية التراب من أي أشياء صلبة كبيرة الحجم كما يجب إبعاد كل الحصى الصغير والكبير، نستخدم مخزون المياه الآتية من النهر والمخزنة في مسبح، الذي يستخدم في الصيف كمسبح لمن يريد السباحة وفي الشتاء كمخزن للمياه.

بعد صنع كمية كافية من الطين أخذناه لمكان الحمام، الحائط مكون من قطع أسطوانية من الأخشاب متراصة بجوار بعضها البعض، ومعها بعض الزجاجات الفارغة لعدة أسباب أولهما التخلص بطريقه نظيفة بيئيًّا من الزجاجات وثانيهما ملء الفراغات الصغيرة بين القطع الخشبية وثالثهما الشكل الفني الجميل ورابعهما إدخال ضياء الشمس إلى الحمام، حيث تسمح الزجاجات بإدخال الضياء إلى الداخل صباحًا مما يوفر استخدام الطاقة الكهربائية.

بدأ لويس يغنى و يقول: "أحب ألعب في الطين"!

نودي بصوت عالٍ للغذاء حيث نظام المزرعة دقيق، إفطار في الساعة الثامنة صباحًا ثُم عمل من التاسعة حتى الثانية ظهرًا ثم غذاء لمدة ساعة وفي أعقابه تبدأ راحة حتى الساعة السابعة مساء لتناول العشاء، يتناوب الجميع على عمل الإفطار والغذاء والعشاء كل بدور يحدده المدير التنفيذي.

الغذاء مكون من أطباق و أصناف! لا أعرف ما هي، ولكنها خضراوات و أشياء تأكل! المائدة عليها ثلاث أوانٍ كبيرة بها الطعام ويوجد أمام كل شخص طبق خاص به ومعلقة وسكين، قوم كل

شخص بأخذ كميه الطعام المناسب من الأواني في طبقه ثم يستمتع.

بعد الغذاء ذهبت للغرفة لأستريح و أتأمل ما حدث، بمرور الوقت و في حوالي الساعة الخامسة عصرًا بدأت أشعر ببرد شديد حيث لا يعمل جهاز التدفئة، إلا في المساء عند النوم، بدأت أرتعد، درجة حرارة منخفضة جدًّا، طعام غريب، عمل بدني شاق طوال اليوم، لا تدفئة لشخص معتاد على حر شديد!

جاءت ساعة العشاء، وجاء أحدهم ونادى علي من خارج الغرفة ولكني تجاهلته، لاأستطيع الخروج من الغرفة، ثم جاء بعد قليل الشاب الفرنسي الآخر الذي كان يدخن مع الفتاة ودخل الغرفة وسألني: ماذا بي؟ فأبلغته أني أرتعد ولا أستطيع الخروج، فجاء لي ببطانية ولكن البطاطين خفيفة جدًّا ولا تعطي أي إحساس بالدفء، لكني شكرته بشدة على الرغم من استمرار الرعدة في أنحاء جسدي!

جاءني شاب تركي عرفت منه أنه المسؤول عن المزرعة الآن وقد وصل منذ دقائق من إسطنبول، شاب طويل وعريض المنكبين أسمر البشرة يبدو عربيًا أكثر منه تركيًّا، عرض علي أن يأتيني بالعشاء في السرير، فرفضت، وعرض أن يأتيني بشيء ساخن لأشربه في السرير فرفضت مفكرًا أن أي شيء سأشربه أو آكله سيضطرني أن أخرج من تحت الغطاء والدفء إلى العراء في الليل شديد البرودة، تحدثنا عن سفرياته المختلفة في أوربا وكيف أنه تجول بين أنحاء الدول الأوربية بطرق رخيصة جدًّا، وأن هذه الدول لا شيء مميزًا بها بالنسبة له، فهمت منه أنه مندوب المؤسسة التي دفعت بها النقود كي آتى إلى

هنا، هي المؤسسة المسؤولة عن كل المزارع المنتشرة في أرجاء تركيا وتقدم خدمات للمتطوعين وتقوم بالزراعة الحيوية أي التي تستخدم الإمكانيات البيئية بشكل أمثل، فلا تلوثها باستخدام مواد صناعية سواء كانت كميائية أو غيرها،كما أنها تستفيد من الطاقة الطبيعية ولا تستخدم طاقة صناعية.

تركني وذهبت لأستريح، بدأت النوم وقد كنت مغطى بخمس بطاطين!

وهكذا أنهيتُ يومي الأول في المزرعة مرتعدًا مرهقًا يساورني الشك على قدرتي على الاستمرا!

القرد والحمار

1- 12- 2011

ليلة سيئة جدًا، برودة شديدة، واضطررت إلى استخدام زجاجة مياه فارغة بدلا من الذهاب إلى الحمام اتقاء للبرد الشديد، فلا أستطيع تخيل أن لدي المقدرة على مغادرة الغرفة ومن تحت خمس بطاطين من أجل الذهاب إلى الحمام في هذا البرد - وقد استخدمت هذه الطريقة من قبل في روسيا! كنت دائما أسخر من الغربيين لمعرفتي أنهم يقومون بهذه الفعلة المخزية، ودائمًا ما كنت أسمع الآراء التي تصفهم بالحيوانية بسبب هذا، ولكن للأسف عندما تعرضت لما يتعرضون له من مناخ بارد، صرت من متبعي الحيوانية بجدارة، بل تفوقت على حيوانيتهم بنوع جديد من الحيوانية حيث استخدمت الزجاجة لأول مرة في روسيا في حافلة متحركة والناس من حولي!

استيقظت باكرًا شاعرًا بالانتعاش، باكرًا هنا لها طعم آخر عن الأماكن الأخرى، لا كهرباء، ظلام نسبي، هدوء يلف المكان تمامًا،

أشجار وجبال ونهر خارج المزرعة، السماء تمتلئ بالنجوم، أعتقد بسبب نقاء الجو وارتفاع المكان عن سطح البحر.

أسمع صوت أذان الفجر من بعيد، يبدو أن هناك مسجدًا لكنه ليس بالقريب من هنا، توضأت وارتديت كل الملابس الثقيلة التي أملكها، وقررت الذهاب في اتجاه صوت المسجد علني أجده، تخطيت سور المزرعة، وللعجب! لم أكن خائفًا من السير وحيدًا بين الأشجار! هذه ليست أول مرة أقوم بهذا، فلقد قمت بأعمال مماثلة في اليمن.

سيرًا بمحاذاة النهر حتى لا أفقد طريقي بين الأشجار، قطعت نصف ساعة من السير، ولكن بلا جدوى، يبدو المسجد أبعد مما تصورت أو في طريق آخر، عدت من نفس الطريق وكان موعد الإفطار، قد قرب فتوجهت للمطبخ، وجدت الشاب التركي وفهمت منه أنه كان دوري لتحضير الإفطار، لكنه ارتأ أن يقوم هو بذلك بما أني كنت أشعر بالبرد.

غادرنا الرجل البريطاني وزوجته أو رفيقته، لقد تضايقت قليلًا لمغادرتهما فلقد كانا لطفين جدًا، حاول الرجل بالأمس تهدئة قلقي أكثر من مرة، يعمل الرجل في مجال الحدائق، أبلغني أنه قام بتجربة غريبة على النباتات، حيث كان يطلق نغمات موسيقية مسجلة؛ لكي تسمعها النباتات! فوجد أن النباتات التي تسمع موسيقيا والتي يحنو عليها بمشاعر حب صادقة، تصير أكثر نضارة من النباتات الأخرى! كما أخذني ولويس لتعريفنا ببعض النباتات السامة في المزرعة من أجل قطعها من جذورها تمامًا.

بعد الإفطار بدأ العمل و توجب علي إنهاء ما بدأته أمس مع الفرنسي لويس وهو إنهاء جدار الطين في الحمام، لكن اليوم انضمت لنا الفتاه الفرنسية التي كانت تدخن السيجارة عند وصولي إلى المزرعة، اسمها أدلين، قامت فيما قبل بعمل أكثر من حائط باستخدام الطين وأشياء أخرى في فرنسا، تحدثت عن رحلتها مع صديقها الفرنسي جبريل، وكيف أن رحلتهما بدأت منذ سبعة أشهر بهدف الذهاب من فرنسا إلى شرق آسيا مستخدمين دراجة ذات مقعدين، زارا في طريقهما ألمانيا وبولندا ورومانيا وهولندا والآن هما في تركيا متجهين إلى إيران ثم باكستان والهند وفيتنام وكمبوديا والفلبين، سألتها عن تصورها لتكاليف الرحلة فردت أنهما خططا أن تكون تكلفة اليوم حوالي عشرين يورو للفرد، في المتوسط، لقد استطاعا توفير مبلغ كافٍ لرحله لمدة عامين، بعد ذلك تحدثنا عن الأكل في تركيا وفرنسا والمناطق العربية، وقد دهشت عندما علمت أنهما لم يجربا الكثير من الأصناف التركية، لأنهما يريدان توفير أقصى قدر ممكن من المال، فلا يشترون أشياء كثيرة! تحدثت كيف أن الأتراك يتناولون الكثير من الأطباق دفعة واحدة، وليس تباعًا كما هو موجود في فرنسا،و كيف أن الفرنسيين لديهم بروتوكولات كثيرة لتناول الأطباق، وبدأت تتطرق إلى أهمية وتنوع الخمور في المطعم الفرنسي حيث إنهما يختاران أنواع خمور معينة لأطباق معينة، اندهشت أدلين من عدم تناولي خمورًا طوال حياتي، وعرضت أن أتناول القليل منها معهما بعد عشاء اليوم، لكني رفضت.

بعد الانتهاء من الجدار طلب مني الشاب التركي الذي زارني في الغرفة بالأمس أن أقوم بتعرية بعض أجزاء سطح المطبخ، بما أن الشتاء سيدخل، وسنحتاج إلى كل قدر من أشعة الشمس، فهمت أنه المسؤول الحقيقي عن المزرعة، على أي حال لا أرى أنه يقوم بأي شي طوال اليوم إلا الجلوس على الكمبيوتر!

نودي للغذاء وكان لا يختلف عن غذاء الأمس في شيء،أخضر! بما أن المتطوعين هم من يقوم بطبخ الغذاء فللأسف معظمهم لا يطبخون بل يتبعون مبدأ "الأكل عبارة عن بعض الأشياء على النار"!

بعد الغذاء فكرت في استكشاف المنطقة المحيطة بالمزرعة، لكن قبل أن أخرج فوجئت بالشاب التركي يسرع إلي ويطلب مني أن أذهب إلى الثنائي الفرنسي لأطلب منهما أن يساعدا في تنظيف المطبخ! فهمت أنه لا يريد أن يطلب ذلك بنفسه منهما، ولهذا يطلب مني ذلك! حاولت التملص لكن بلا جدوى، فوافقت وتجاهلته ولم أذهب إليهم وخرجت من فوري إلى خارج المزرعة مقررًا أن أتسلق جبلًا خارج المزرعة، يظهر على قمته بيت! فأردت أن أرى المنطقة من أعلى، وأرى كيف يكون هذا البيت.

استطعت تسلق الجبل في حوالي خمس و أربعين دقيقه، ينتشر نوع جاف من النباتات على سفح الجبال في هذه المنطلقة، يلتصق بالملابس وبه أشواك صغيرة تسبب الضيق، وجدت البيت في قمة الجبل صغيرًا جدًّا أعتقد أنه مكون من غرفة واحدة أو اثنتين على الأكثر، وقد كان مغلقًا فلم أستطع أن أرى ما بداخله، حاولت نداء من بالداخل

ولكن لم يكن به أحد، استرحت بجوار البيت وتأملت المنطقة من أعلى، شيء رائع، نهر يتلوى بين عدة جبال وأرى بحر إيجة من بعيد، المنطقة عبارة عن سجادة خضراء بها خط ملتوٍ من المياه كالثعبان الضخم،كما تنتشر الأشجار بنية اللون أو صفراء اللون من حين لآخر، أرى المزرعة والحصان والبيت الضخم في وسط المزرعة التي يعيش فيها صاحب المزرعة و زوجته، أخذت عدة صور، ثم بدأت رحلة الهبوط خائفًا أن يهبط الليل علي وأنا بين الأشجار فأضل الطريق متذكرًا حادثة حدثت لي في اليمن حيث ضللت الطريق وسط الجبال وعانيت كثيرًا حتى أني كنت على وشك البكاء! كنت أستخدم إحساسي العالي بالاتجاه، وبوصلة أعطني إياها أحد معارفي الروس، الحمد لله أني وصلت بسلام في الساعة الخامسة عصرًا.

كنت اتفقت مع الشاب البريطاني سكوت أن ألعب معه تنس طولة، يوجد مكان مفتوح به طاولة لتنس الطاولة وكنبة وبعض الكراسي، يتقابل فيه أفراد المزرعة ليتسامرون بعد العشاء ويقومون بعمل حفلات، أثناء توجهي إلى منطقه الألعاب قابلتني السيدة صاحبة المزرعة، وكنت لا أرى هذه السيدة إلا أثناء تناول الطعام واصطحبتني إلى غرفه تسمى غرفة المخزن بها الملابس التي يحتاجها المتطوعون وقالت إن بإمكاني أخذ أي ملابس أرى أنها مناسبة لي وأنها قد قامت بتحضير بعض الملابس التي تناسب مقاسي حيث كنت بالنسبة لهم عملاقًا، لقد كنت دائمًا أعتقد أن الأوربيين والروس طوال القامة، لكني اكتشفت أنهم ليسوا بهذا الطول، بل لقد كنت معظم الوقت أكثر طولًا من الجميع، أبلغتني أيضًا أني أستطيع أخذ كل

البطاطين التي أريدها من أجل الوقاية من البرد، لم أسترح لهذه السيدة على الرغم من أنها لم تعاملني بشكل سيئ بل على العكس، هي أمرأة بيضاء رفيعة جدًّا متوسطة الطول تضع قرطًا ليس بالصغير في أنفها وفي أذنها، تدين بديانة هندية، تقوم بالاستيقاظ باكرًا وكانت أول من يستيقظ في المزرعة، قبل أن آتى فقد كنت أستيقظ قبل الجميع، تقوم بممارسه اليوجا، تستخدم الكثير من الألفاظ النابية بلا أدنى خجل! في هذا الوقت لم أكن قد تعرفت على صاحب المزرعة التركي، لكن بعد أن قابلته استطعت استنتاج أن هذه السيدة هي شخصية بريطانية متسلقة قوية الشخصية تستغل شخصًا تركيًّا ثريًّا ضعيف الشخصية.

بدأ تنس الطاولة، سكوت لا أعرف حتى الآن الكثير عنه، شاب يبدو لي في العشرينيات، مستواه في البنج متقارب معي، هزمني بصعوبة في أول مباراة ثم هزمته في الثانية، انضم إلينا أدرلين وجبريل و لويس، فقط جبريل يستطيع أن يلعب، لقد كان ماهرًا واستطاع أن يهزمني ويهزم سكوت، استأذن سكوت ليذهب لعمل العشاء، تحدثت مع المجموعة الفرنسية، وذهلت لما أبلغوني عمَّا يحدث في فرنسا، لقد اعتقدت أنهم يتكلمون عن مصر، وليس فرنسا فمثلًا وصفوا لي كيف تقوم الشرطة الفرنسية بالقبض على المواطنين بطريقة عشوائية لكي تظهر أنها تعمل بهمة ونشاط، وتقوم أيضا باحتجاز الأبرياء لمدة أربع وعشرين ساعة؛ لأن عملها يملي عليها أن تقبض على عدد معين من الناس سواء كانوا أشرارًا أم لا! وكيف تتم معاملة المهاجرين بطريقة غير ودية! ثم تحمسوا بشدة وبدؤوا الكلام عن ساركوزي ووصفوه برئيس عصابة، كيف يقوم بالكذب طوال الوقت، كيف أنه وعد قبل

انتخابه بالكثير من الأشياء التي سيحققها ثم أخلف كل وعوده، كيف أنه يستخدم العربات الفارهة ويعيش في قصور هو والمحيطون به تاركين بقية الشعب يعاني،كيف أنه يعالج في المستشفيات الراقية، ولكن الباقي! كيف أن الحكومة الفرنسية تستخدم التكنولوجيا عالية التقنية للتجسس على كل أفراد الشعب لإجهاض أي محاولة للثورة! لقد كانوا يؤكدون نفس الكلام الذي قاله لي من قبل الرجل الفرنسي في بيت الشباب! أشاروا لازدياد معدل الفقر في فرنسا، وأن فرص العمل تتضاءل و الفساد يستشري في المؤسسات المختلفة، وتكون مكافأة أي شخص يحاول الإشارة إلى هذا الفساد، هي تدمير حياته، مثلًا أبلغوني أن ستة صحفيين محترمين جدًّا، كتبوا مقالات عن ما يحدث، فكانت النتيجة طردهم من العمل، ومنعهم من الكتابة ثانيه! قارنوا بين ساركوزى وبرلسكوني، برلسكونى يسيطر على الإعلام في إيطاليا بماله الخاص أما ساركوزي فيسيطر عليه في فرنسا عن طريق أصدقائه، مافيا إيطالي و فرنسي،

لقد كان جبريل مطلعًا على الكثير من الأحداث الجارية في بلاد عدة، وقد سألني:هل انتخبت؟ وسأل عن الثورة والتحرير والأوضاع الأمنية، تكلمنا عن ليبيا والدور السيئ لفرنسا في ليبيا وكيف أنها تقوم بعمل أي شيء من أجل المال، وليس من أجل البشرية، وكيف أن ساركوزي سيقوم بأي شي حتى قتل أصدقائه مثل القذافي الذي كانت فرنسا تحتفل به كثيرًا عند وصوله إلى فرنسا.

وصفتُ الحرب التي دارت بين الناتو وبين القذافي أنها ليست بحرب فضعف ليبيا الشديد وتكتل قوى كبيرة مع بعض لا يبدو من

الشرف في شيء، لكن لسبب ما أساء فهمي جبريل وبدا عليه العبوس، وسأل باستهجان: لماذا تعتبر أنها ليست بحرب وسألني: ماذا ستفعل مصر إن قررت فرنسا إن تمحوها من الخريطة! هنا شعرت بالغيظ، والذل الشديد، نظرة واحده على حاضر العرب نجدهم أضعف من الضعف! نظرة على التاريخ العربي والمصري نجد أن الأوربيين كانوا يتعاملون مع المنطقة العربية كضياع خاصة! مصر مثلًا احتلها الهكسوس والنوبة واليونان والرومان والإنجليز والفرنسيون والأتراك والإسرئليون ! ناهيك عن إيران و العراق! ما هو ذنبي أن أولد مكللًا بعار احتلال الكثير من دول العالم لبلدي، لماذا لم يحدث على مر التاريخ أن ظهرت جماعة مصرية تطالب باحتلال أوربا لغسل عار الذل والكرامة التي أهانوها على مر العصور؟! لماذا يتكلم العرب عامة عن الكرامة العربية؟! لماذا يتعارك العرب مع بعضهم بعضًا مع أن الغربيين وغير الغربيين يقومون باستعبادهم؟! إن العرب يبدون لي كالقرد و الحمار، القرد يقول للحمار: أنا أذكى منك، لكن كليهما أكثر غباء مقارنة بالآدميين، العربي يتفاخر على العربي، العربي يضرب العربي، العربي يتشدق بكرامته وسيادته على العربي أو على أفضل تقدير الأفريقي والآسيوي! أريد أن أربي أولادي على فكرة احتلال أوربا وتكوين مستعمرة من الأوربيين لتكون خدمًا لنا! إن الأرض العربية تربي قردة مستعبدين منذ مئات السنين، لماذا أسمع كلامًا مثل: مصر أفضل من في العرب؟! لماذا لا أسمع مصر أفضل من في البحر المتوسط؟ لماذا لا أسمع عن تهديدات لأمريكا وأوربا كالتي نطلقها تجاه إثيوبيا ! أنحن لسنا برجال!

استأذنت وذهبت إلى النوم وتركتهم.

لويس و سكوت

2- 12- 2011

في حوالي السابعة صباحًا استيقظت! نمتُ جيدًّا الليلة الماضية، ذهبت لتناول الفطور، وفهمت أن السيدة صاحبه المزرعة ستغادر اليوم إلى الهند!

إنه يوم الجمعة، يقام سوقة في قرية كوتشكو، البائعون من الفلاحين أصحاب المزارع، يبعون منتجاهم من الخضراوات والفاكهة والألبان والجبن، تختلف الأسواق الروسية والتركية عن المصرية في أنها أنظف وأكثر تنظميًا، اشتريت لتر لبن بقري حيث لا يوجد في المزرعة أي حيوان يدر اللبن!

بعد الانتهاء من التسوق جلسنا لنشرب شيئًا ما، وطلب الجميع شايًا، سكبت نصف الكوب في البحر، وأضفت لبنًا فصار شاي باللبن، مثلما نشرب في مصر، مما أثار دهشة جميع الحاضرين! لا

يعرف الغربيون الشاي باللبن! و لا حتى الأتراك!

أنهينا الشراب و صمم الشاب الفرنسي أن يحاسب للجميع! و بدأنا العودة بالسيارة،تركتهم في الطريق لأصلي الجمعة،بعد الصلاة قررت أن أذهب إلى المزرعة سيرًا على قدمي حتى أتبين الطريق وأقوم بتوفير أجرة أي تاكسي بعد ذلك،

وصلت إلى المزرعة لأجد جبريل وأدلين يعدان الغذاء، ولأستكمل عملي في سطح المطبخ الذي بدأته بالأمس، ساعدني جبريل في حمل ألواح السطح الخشبية بعد أن نقلته إلى مخزن المزرعة.

كان الغذاء مميزًا، الأول من نوعه منذ فترة حيث كان الطهاة الفرنسيون من أفضل من في المزرعة وللعجب كان الشاب، وليس الفتاة هو الذي يطبخ، لقد أثارت دهشتي هذه الظاهرة، رأيت أكثر من مرة الشباب في روسيا و أيضًا الأوربيين في تركيا، يطهون أفضل من الشابات وعادة الشابات لا يعرفن الطهي تقريبًا.

في نهاية اليوم رافقت سكوت البريطاني لتعلم كيفية إشعال المدفأة، حيث كان هو ولويس المسؤولين عن إشعالها، أخذنا نتحدث عن رحلته، وكيف أنه بدأ الرحلة في بريطانيا متوجهًا إلى أستراليا على دراجة، مر بألمانيا والدنمارك وبولندا والنرويج وأرمنيا وأوكرنيا فتركيا! كان يعمل في القناة الخامسة البريطانية، لكنه ترك العمل مقررًا أن يدور حول العالم لمدة سنة كاملة على الدراجة، لقد خطط جيدًا للرحلو وأعد موقعًا على الإنترنت خاصًا بها واستخدم للنوم فنادق وبيوت شباب وأصدقاء عبر الإنترنت وخيم في الغابات كما

أنه أقام خيمته ذات مرة في المقابر في أوكرنيا!

يختلف سكوت عن جبريل وأدلين أنه يستخدم نقودًا أكثر حيث يستعمل عبارات وحافلات وسيارات أجرة وطائرات، أما جبريل وأدلين فلا يسلكان إلا الطرق البرية بالدراجة.

سألته: هل واجهت أي مواقف صعبة أو خطيرة؟ فأجاب أن أسوأ ما حدث له هو الأعطال التي أصابت الدراجة وخوفه الدائم من البلاد التي لا تحترم الدراجين- راكبي الدرجات- مما قد يسبب الاصطدام بالسيارات بسهولة.

بدأ الشكوى من عدما معرفته بأي لغات عدا الإنجليزية وأنه يستخدم جواله الخاص للترجمة من وإلى اللغات التي يقابلها أثناء رحلته، وصف نفسه بالجاهل لأنه لم يتعلم أي لغات غير الإنجليزية، لاحظت أكثر من مرة انزعاجه عندما يتكلم الفرنسيين مع بعضهم البعض بالفرنسية! وسألني: هل تفهم ما يقولون؟ فأجبته أني أفهم بعضًا منه، فتضايق أكثر وضرب بيده على حائط المدخنة! شاب هادئ لطيف لا يتكلم كثيرًا، احترمت صمته، قصير وأصلع الرأس، أبيض اللون، من أصول أسترالية ويعيش في بريطانيا.

تركته وذهبت إلى الثنائي الفرنسي في المطبخ حيث كانا يعدان العشاء، علمت أنها سيغادران في الصباح لهذا فكرت في إعطائهما هدية مما تبقى معي من هدايا قليلة.

بدأنا جميعًا التحدث معا بعد العشاء، وفهمت أن لويس سيغادر هو الآخر غدًا، لويس شاب غريب، لايستحم كثيرًا مما ألهمني، يبدو

جاهلًا من الأرياف، فقير جدًّا، ظريف جدًّا، لا تملك نفسك من الضحك و أنت معه، قوي، ساعدني كثيرًا و ساعد الآخرين، يعيش في المزرعة منذ ثمانية أشهر! لم يدفع أي شيء أثناء وجوده! لا يدفع أي شيء تقريبًا أثناء سفره، جاء من فرنسا حتى إسطنبول أتوستوب! مارًّا بألمانيا وصربيا حتى تركيا، لديه صديقة تركية في إسطنبول، سيذهب لملاقتها هناك، ثم يعود إلى فرنسا ليعمل قليلًا ويدخر بعض المال ثم يقابلها في الصيف في المغرب! حيث سيذهب إلى المزارع في المغرب و موريتانيا ومالي.

وداعًا الفريق الفرنسي

3- 12- 2011

معدتي تشعر باضطراب شديد، أصوات عجيبة، تقلصات وآلام، أعتقد بسبب اللبن الذي شربته بالأمس من سوق القرية بدون غلي!

اليوم سأذهب إلى الشلال حيث يوجد شلال قريب من المزرعة، بسبب اضطراب المعدة والبرد اضطررت لأول مرة أن أذهب إلى الحمام في العراء واستخدام مياه مثلجة من النهر، موقف عصيب، مياه مثلجة فجرًا في درجة حرارة منخفضة، وأوراق شجر جاف والاختباء بين الأشجار في الظلام المنير محاط بالجبال، أتذكر كل لحظة منه دائمًا،

أضاع هذا الموقف بعض الوقت الذي لا أملكه صباحًا بما أني أملك ساعة واحدة قبل بدء الإفطار، الطريق إلى الشلال يذكرني بأفلام أمريكا اللاتينية وغابات الأمازون، طريق ملتوٍ في وسطه نهر،

ضفتا النهر في بعض الأحيان ضيقتان جدًّا حتى لا أجد مكانًا كافيًا لوضع قدمي ثم تتسع بعد ذلك، ومن حين لآخر أصادف جسرًا يربط بين الضفتين، فجأة تجد إحدى الضفتين مرتفعة جدًّا عن سطح النهر والضفة الأخرى، تتحول الضفة إلى طريق خشبي ضيق عرضة لا يتعدى المتر، يخترقه الكثير من الحشائش والأشجار الملتوية تعترضه أحيانًا، الطريق كله عبارة عن وادٍ ضيق بين جبلين، مناطق ينحدر فيها الجبل بشدة على النهر وأخرى ينبسط قليلًا حتى لا ترى الجبل، بل طريق أشجار وحشائش من كل لون، زهور وفراشات وطيور وأسماك بالنهر،صخور ضخمة وصغيرة تعترض مجرى النهر وتفرقه، كافتيريا مهجورة في الطريق، ثم تبدأ الصخور في التضخم أكثر وصوت ارتطام المياه بها يعلو و يظهر ما يسمونه شلالًا، شلالًا صغيرًا لا يزيد ارتفاعه عن حوالي مترين أو ثلاثة على الأكثر، تندفع المياه من أعلى ثم تضرب أرض النهر في عنف محدثة صوتًا عنيفًا، تتجمع المياه في بحيرة عمقها تقريبًا متر في الشتاء ثم تعلو في الصيف ليسير عمقها حوالي ثلاثة أو أربعة أمتار، تسير المياه بعد ذلك في مجرى النهر بهدوء و كأن شيئًا لم يحدث! بدون صوت تنساب المياه بعد أن أحدثت دويًّا عنيفًا في اصطدامها بالأرض! واجهت صعوبة شديدة في محاوله الاقتراب من الشلال، الصخور ملساء جدًّا والقفز على واحدة للأخرى ليس شيئًا يسيرًا، خفت أن أنزلق فتبتل ملابسي والجو بارد جدًّا كما أن الكاميرا من الممكن أن تتحطم فآثرت السلامة وغيرت الاتجاه رجوعًا إلى المزرعة من نفس الطريق منتشيًا بالنصر الذي حققته بالوصول إلى الشلال، بالمناسبة كلمة الشلال بالتركية تعني سلال.

كنت أسمع نداء "الإفطار جاهز" من خارج أسوار المزرعة، فأسرعت الخطى حتى لا يفوتني الطعام، بعد الأكل بدأ الفريق الفرنسي بتجهيز أشياءه للرحيل، جاء إلي جبريل و همَّ أن يحتضني ولكني لسبب ما لم أشأ أن أحتضنه على خلاف عادة الكثير من العرب اليوم، يبدو لي أن غيرتي منه ومن الغربيين عامة لا تجعلني أشعر بود داخلي تجاههم، ودعناهم عند دراجتهم وأخذنا بعض الصور و حاولت أدلين الفتاة أيضًا احتضاني وتقبيلي، كما فعلت مع كل شخص في المزرعة ولكني رفضت واعتذرت، غادرانا!

بدأ لويس أيضا بالمغادرة، ولم يشأ أن يغادر قبل أن يترك بصمة من بصماته الضاحكة، شرح لي كيف أنه سيعود إلى فرنسا بدون أن يدفع أي شيء بطريقه الأتوستوب وكيف أنه محظوظ كونه فرنسيًّا لأنه لا يدفع أي نقود مقابل فيزا الدخول إلى الكثير من البلاد، لكنه يلجأ إلى أسلوب غريب إذا وجد بلدًا ما تحاول إجباره على دفع مقابل دخول البلد، مثلًا بلد كمالي يتوجب على الفرنسيين دفع مقابل المرور بها لهذا يقوم بالغناء والرقص أمام حراس الحدود ويقوم بإفهامهم أنه فقير لا يملك أي مال و أنه يغني ويرقص طوال الطريق من أجل الطعام ويحاول إضحاكهم حتى يقوموا في النهاية بإدخاله بدون نقود! لقد تعلم هذه الطريقة من أصدقائه الفرنسيين الذين ذهبوا إلى مالي بنفس الطريقة من قبل!

غادر لويس وانتهى عصر الفريق الفرنسي معنا أو هكذا اعتقدت، شعرت رغمًا عني بالكآبة لفقدانهم حيث يضفون جوًّا من المرح

والفكاهة على المزرعة أما الآن فلم يتبقى في المزرعة إلا أنا وسكوت الأسترالي الصامت والتركي المنبطح وصاحب المزرعة المختفي دائمًا! على الرغم من شعوري بالكآبة، لكني كنت أشعر بالغيرة الشديدة والغضب والمذلة! لقد كنت أكبر الجميع سنًا - هكذا اعتقدت في هذا الوقت - لكني كنت أقلهم تجربة! هم ليسوا بأذكى ولا أكثر ثقافة بل هم متمرسون بالحياة، وأصدقاؤهم أيضًا متمرسون بالحياة فيجتمع الجميع و يتبادلون الخبرات والتجارب الشخصية التي مروا بها وهكذا يتشكل لدى الجميع مجموعة من الخبرات المختلفة و المتراكمة فتصنع في النهاية مجتمعات أكثر نضجًا،

و لا يقتصر الأمر على الاجتماعات و تبادل الخبرات بل يتعداه إلى التجارب الشخصية الشجاعة، أما شعوبنا فلا تجارب شجاعة ولا تبادل لخبرات اللهم إلا خبرات العمل التي يحاول الكثير إخفاؤها أيضًا!

جلست مع الشاب التركي المنبطح لإعداد بعض مخلل الزيتون، وكنت أحاول ألا أتحدث كثيرًا مع هذا الشخص!وفي منتصف النهار ظهر شاب و فتاه في المزرعة، عرف الشاب نفسه على أنه فرنسي والفتاة على أنها تركية، الشاب يرتدى قبعة غريبة لا يترعها أبدًا، خبير بالزراعة والحياة البدوية، قضى الأشهر الستة السابقة في خيام البدو الأتراك في جنوب و ووسط تركيا، الفتاة محامية من العاصمة أنقرة، يختلف هذان الاثنان عن باقي رواد المزرعة، هما ليسا متطوعين بل أتى الشاب الفرنسي من أجل أن يعرض أفكارًا على صاحب

المزرعة، وعلى مؤسسه الزراعة الحيوية التركية، ولذا أولاهما صاحب المزرعة اهتمامًا خاصًّا، أعتقد أنه سيحقق بعض المكاسب المادية من ورائهما، سألاني عن مصر وعن الثورة وعن رأيي كعربي في البطل المزعوم في المنطقة العربية الذي يسمى رجب طيب أردوغان! لقد فوجئت بما تقوله الفتاة التركية، وبما تصف به رجب طيب أردوغان من أنه بطل من ورق وكيف أنه مدعٍ و أن ما يحدث في تركيا ما هو إلا دخول رجال أعمال من عدة دول مما أظهر الاقتصاد التركي كقوة ضخمة ولكن كل هذا فقاعة! حاولت مناقشتها وأبلغتها عن المصنع الذي رأيته أثناء رحلتي وعن ما أعرفه عن الشركات التركية ونشاطها في المنطقة العربية ووسط آسيا، ولكنها أبلغتني أن كل هذه ليست شركات في البنيته الأساسية والتصنيع ولكن هي فقط شركات بناء ومقاولات وتصدير بعض المواد الخام، وليس بناء حقيقيًّا للاقتصاد التركي، كما أنها أكدت أن العرب يعشقون رجب للمواقف السيئة والأسلوب غير المهذب الذي استخدمه في منتدى دافوس الاقتصادي! لا أعرف لقد فوجئت بما تقوله، وتذكرت فعلًا أني لم أر أي شيء تكنولوجي مصنوع في تركيا! ولم أسمع أن أي شركات تركية في المجالات التكنولوجية العالية ولا في التصنيع العسكري، فإيران مثلًا تصنع طائرة، لكن لم أسمع عن أن تركيا تقوم بالمثل، بل سمعت أن تركيا تشتري من إسرائيل وأمريكا وأوربا، إن من المثير أن نقارن بين تركيا وإيران، فإيران على الرغم من الحصار لديها بكورة صناعة بدائية مقارنة بمثيلتها الغربية مثل الطائرات والسيارات والصواريخ والكمبيوترات وأشياء بالنانو أما تركيا! على

أي حال لا أصدق هذه الرؤية التي أعتقد أن من يتبنها هي الأحزاب العلمانية في تركيا، كما أن الأيام القادمة ستجعلني أرى بأم عيني كيف أن من يتبنون هذه النظرة هم من العبيد المنبطحون وهؤلاء تعج بهم أوطاننا

ازدادت مشقة العمل في المزرعة، في السابق في عهد المدير لويس كان ينتهي العمل في الساعة الثانية بالغذاء أم الآن في عهد المدير التركي المنبطح لا ينتهي العمل تقريبًا إلا بالتهرب منه بعد المغرب، لا يوجد رحلات بعد الغذاء بعد الآن، حيث كنت دائمًا أذهب لمدة ساعتين خارج المزرعة لاستكشاف المنطقة الجبلية لكن كل هذا انتهى الآن!

يتلخص عملي الآن في الاهتمام اليومي بحصان، حيث آخذه صباحًا في رحلة حول المزرعة لإيصاله إلى حقول الأعشاب بجوار النهر ليأكل كل ما يريد و أيضًا إطعامه صباحًا والاهتمام بعينه المريضة، ثم بعد الحصان يأتي دور الكلاب، فهي أيضًا تحتاج إلى جولة بعيدًا عن المزرعة لتقضي حاجتها بعيدًا في الحقول، وللكلاب قصة غريبة، يوجد بالمزرعة ثلاثة ذكور من الكلاب وثلاث إناث، لسبب لا أعلمه بدا فجأة عارك عنيف بين الذكور مما اضطر المسؤولين عن المزرعة إلى الفصل بينهم، ولقد بلغوا من العنف والجنون أثناء المعركة أن عض أحد الكلاب ذراع أحد المتطوعين! في البداية كانوا يجنبونني التعامل مع الكلاب احترامًا لعدم تعاملي معها، أما بعد أن رحل جميع المتطوعين و لم يتبق غيري وسكوت البريطاني فاضطررت

إلى المساعدة في جولات الكلاب،كان سكوت يأخذ كلبًا أو اثنين في جوالات منفصلة وبدأت أتعلم منه وأقوم بنفس العمل، ومع الوقت اعتدت عليها وبدأت أصطحبها كثيرًا حتى في جولتي فجرًا خارج المزرعة!

بعد الانتهاء من رعاية الكلاب كان جدولي يتضمن الكثير من الأعمال العظيمة مثل غسيل الملابس ونشرها مستخدمًا في ذلك مسحوق غسيل مصنعًا يدويًّا من الرماد! لا ينظف تمامًا ولكنه يفي بالغرض، ثم يبدأ عملي كمهندس كهرباء من صيانة اللمبات التي لا تضيء، وفي نهاية اليوم قبل العشاء يجب على إطعام القطط والأرانب، إحدى عشرة قطة وأرنبين.

ذهب الشاب و الفتاة في جولة لمدة ثلاث ساعات في الغابات! لم يخشوا أن يضلوا أو أن يهاجمهم حيوانات أو أي شيء! اجتمعنا معهم على العشاء وبدا الشاب خبيرًا في الزراعة أو هكذا أراد أن يبدو، تكلم عن عادات البدو في جنوب تركيا و فنلندا وروسيا.

أشعر بالدماء تغلي في رأسي ثانية من الغيرة، فهناك من يسير على قدمه بالأشهر، وهناك من يدور حول العالم على دراجة وهناك من يعيش مع البدو وهناك من يقوم بالأتوستوب وهناك من يتجول حول العالم معطيًا دروسًا في مجال ما، وهناك من يتجول في العالم ليزيد من خبرته في مجال ما، وهناك من يمشي ليلًا ويبيت في الخيام وهناك من يعيش مع أناس لم يرهم أو يعرفهم قط، وهناك من قضى ليالي في المقابر، أما في مصر، يا بني الطريق خطر، يا حبيبي حد يطلع عليك

يخلص عليك، يا ضنايا الحيوانات المفترسة، يا بني العقارب والتعابين، يا بني هتروح غابة الأسود والنمور والفهود السبعة والعشرة، يا بنى انت عايز تموت نفسك، يا بني دول ناس فاضية، يا حبيبي دول ناس معندهمش دين، يا ضنايا دول ناس همهم الدنيا وأحنا الآخرة، يا بني مش هتجوز طيب دول مقضينها، يا بني الشغل بتاعك هتعمل فيه أه، يا بني أنت عبد اسود عند أبو لهب هيعذبك لو سبت الشغل ... أعتقد أننا في مصر نحتاج إعادة تكوين أو تشكيل للبشر، أعتقد أننا بعد الثورة يجب أن نقوم بإعادة تأهيل أنفسنا وتغير أشياء كثيرة، أعجب كثيرًا بيتر العظيم في روسيا!

في بعض الأحيان فعلًا يضطر أصحاب هذه الأفعال القيام بأشياء قد لا تتناسب مع أخلاقنا، ولكن هناك الكثير مما يقومون به يتناسب معنا ولا نقوم به نحن، فمثلًا يقوم بعض منهم بالاستجداء والتملق واستغلال بساطة الناس وبعض الأفعال الفاضحة لكن أتأمل نفسي وتجربتي فأجد أني اُستغللت، وتملقت وقمت ببعض الأفعال الفاضحة! و يا عزيزي كلنا ....

لقد تأملت الشاب الأسترالي سكوت، فلمه أجده لا متملقًا ولا مستغلًا ولا مستجديًا بل على العكس لقد كنت أخجل لما في هذا الشخص من صفات الرجل النبيل، أيضًا أتأمل الشاب الفرنسي الذي كان يسير على قدمه منذ شهر فلمه أجد أي شيء سيئ يقوم به، لكن من ناحية أخرى أرى لويس الفرنسي متملقًا مستجديًا، أيضًا أرى الشاب الفرنسي و الفتاة التركية يعيشون مع بعضهما بعضًا في غرفة

واحدة مما يتنافى مع أخلاقنا ولا يتناف مع أخلاقهم، أرى الجميع تقريبًا يشرب خمور مما يختلف مع عرفنا، ولكن ليس مع أعرافهم، لا مناص من الاعتراف بضعفي وضعف العرب عامة أمام هؤلاء البشر، إن معرفتنا لنقاط ضعفنا قد تكون بداية جيدة للتغير، تذكرت شيئًا غريبًا، نحن نتشدق كمسلمين بقدرتنا العالية كمسلمين وعرب على الزهد في الدنيا وفي متاع الدنيا من متع وأكل و خلافه – بالنظر إلى كروش المصريين وكمية الموبايلات التي معهم وعدد سيارات السعوديين و كمية الأكل التي تُرمى في الخليج، لا أعرف إن كان هذا صحيحًا أم لا – و نسوق الأمثلة على الصحابة من عمر بن الخطاب وخلافه في زهدهم،فمثلا عمر كان يأكل الزيت، وهذه المقولة ذكرتني بالشاب سكوت فقد كان يأكل الزيت والملح فقط لفترة طويلة، وأيضًا جبريل وأدلين كانا يأكلان القليل من الطعام يوميًّا على الرغم من استخدامهما للدراجة لقطع مسافة مائة كيلو تقريبًا يوميًّا! كما أن الشاب الفرنسي السائر على قدميه كان يأكل وجبة واحدة في اليوم على الرغم من أنه يحمل على كتفه حوالي 15 كيلو جرامًا وزن حقيبته ويمشي مسافة طويلة جدًّا يوميًّا!

أعتقد أن مسلمي اليوم غير مسلمي الأمس، ظهر بهم السمنة، ظهرت الكروش، أصبح زهدهم هو التحدث عمَّن ماتوا.

لقد شعرت أننا شعوب نستطيع أن نصفها بالضالة، فلا نحن مسلمون نطبق الإسلام، ولا نحن شعوب عقلانية نحكم العقل، ولا نحن قوم ذو أخلاق فنتعامل بالأخلاق بيننا.

لا يجب أن يكون كل شخص في شعب ما ذو عقل وخلق ودين لتصبح الأمم عظيمة، لكن كلما زاد عدد العقلاء وزاد عدد ذوو الأخلاق و زاد عدد المتدينين، سارت الأمم أعظم، ليس جميع من في أمريكا بالمتدين، وليس كل من في أوربا ذا خلق، وليس كل من في اليابان ذا عقل، بل هناك الكثير منهم في كل أمة، لقد كثر السفهاء بين العرب،فسرنا غثاء لقد قل ذوو الأخلاق والعقلاء والمتدينين فصرنا ضالين.

الشيف المصري مع المنبطحين الأتراك

4- 12- 2011

إن الشبه بيننا وبين تركيا يثير الدهشة، الأكلات متقاربة، وبعض الكلمات واحدة! لا أعرف من تعلمها مِن مَن أتعلمتها مصر من تركيا أم العكس و لكن أعتقد أن مصر تعلمتها من تركيا، وليس العكس، فتركيا جاءت إلى مصر واحتلتها فترة، كما أني فهمت من رجل نمساوي يعيش في تركيا أن معظم البلاد التي كانت تحت الحكم العثماني لها نفس الأطباق، بعض الأطباق المتشابهة هي الحلاوة الطحينية، الطحينة،العسل الأسود بالطحينة!المحاشي بأنوعها، الكرنب وورق العنب والكوسى والبطاطس،شوربة الكوارع!الزبادي واستخدامه في الكثير من الأكلات والمشروبات حتى أن أشهر العصائر لديهم اسمه يرين وهو عبارة عن زبادي حسب ما فهمت، الباذنجان و أطباقه المختلفة، الشاورمة، الكباب، الحلويات الشرقية من الكنافة والبسبوسة والبقلاوة والملبن!

حتى الكلمات فهناك مثلًا سلال (أي شلال)، سراي، أفندم، تمام.

حتى بعض الأتراك، فمثلًا الشاب التركي المسؤول عن المزرعة، المنبطح، طويل القامة رفيع، ذو شعر جاف، أسمر اللون، لقد اعتقدته عربيًا في البداية، لكن عرفت أنه تركي الجنسية عربي العقل! هذا الشخص يفكر كالعرب تمامًا، عندما يرى الغربيين أشعر أنه يود لمسهم للتبرك بهم، لا يكف عن الحديث عن تدني تركيا وكيف أنهم شرق أوسطين وأنهم – أي الأتراك– برابرة! لقد سمعته ورأيته بأم عيني يتحدث أمام الشاب الفرنسي– الخبير في الزراعة – عن وضاعة تركيا، وأخذ يدني في بلاده و يحط من قدرها أمامه رغبة منه في إظهار أنه مختلف عن باقي الأتراك، وأنه الوحيد العالم الراقي الديمقراطي المتحضر، أما الآخرين فا... وانضمت إليه الفتاة التركية في حفلة من تدني النفس أمام الشاب الفرنسي، عرفت أن هناك فئة من الأتراك المنبطحين الذين يجدون لذة و شعورًا بالزهو بالحط من قدر بلادهم أمام الغربيين، هؤلاء هم المنبطحون الأتراك، حتى محاولات الشاب الفرنسي بإفهامهم أن بلادهم ليست كذلك، باءت بالفشل،ولا يكتفي حزب المنبطحين بما يقومون به من إذلال بلادهم أمام الغربيين، بل يقومون بالحط من قدر العرب، ولقد قام الشاب والفتاة بإهانة الدول العربية ولكني لم أستطع فعل شيء، فمن ناحية هم محقون ومن ناحية أخرى لا أريد مناقشة أي شيء مع هؤلاء المنبطحين، رغبتهم الوحيدة هي أن يساعد الغرب تركيا، وأن تصبح تركيا كالغرب، يختلف هذا الحزب المنبطح عمًا رأيته في شمال تركيا، أعتقد أن أكثر الناس في الشمال ذو قوميه تركية وكرامة، يقل هذا الشعور جنوبًا

وفي العاصمة أنقرة.

إن الانبطاح لديه صور أكثر من التبرك من الغرب، بل أيضًا كان يتفنن الأفندي التركي في محاوله إذلالي وإظهار أنه مدير، فقد كان لا يطلب من أي شخص أي شيء غيري، ويتفنن في طلب الأشياء الوضيعة فقط مني، مثل غسيل المواعين، حتى أنه كان يأتي جريًا لي ليطلب مني أن أذهب وأطلب من الأوربيين بعض الطلبات تجنبًا منه لطلب أي شيء من السادة الأوربيين، لقد كان هذا الشخص من أسوأ ما رأيت في المزرعة، كان يهتم كثيرًا بساعات العمل، ويبلغني أنه يجب على العمل ثماني ساعات يوميًّا أم هو فعمله الوحيد كان الجلوس على الكمبيوتر، ومن حين لآخر يباشر بعض الأعمال البسيطة، لقد أبلغنا يومًا أنه في بداية عمله كان صاحب المزرعة لا يعرف مقدرته فكان يعمله كأي متطوع فيقوم بما يقوم به المتطوعين أما الآن ...

فكرت أأنا من حزب المنبطحين؟ ولقد لاحظت في نفسي أني في بعض الأحيان أذكر مساوئ وطني ولا أذكر محاسنها أمام الآخرين أيًّا ما كانت جنسيتهم، ولكني لا أتبرك بالغربيين، بل أشعر بالغيرة منهم ولا أريد مساعدة منهم، بل أريد التفوق عليهم، واحتلال أراضيهم ولكن هذا لا يمنعني من رؤية أوضاع وطني المزرية، ولا معرفة تاريخ بلدي المشرف من احتلال كل البلاد لها، على أي حال سأحذر حتى لا أنضم إلى المنبطحين!

مر اليوم سريعًا، استيقاظ في الرابعة صباحًا، فبقاء وتأمل في السرير حتى الفجر، فصلاةـــ فتجول خارج المزرعة مع اصطحاب أحد الكلاب، فإفطار، فغسيل مواعين، فإطعام الحصان والأرانب والقطط، فاصطحاب الحصان إلى حقل الحشائش ثم الكلاب، اليوم موعدي لتحضير وجبة الغذاء، ماذا أفعل؟ سأجن، لا أعرف شيئًا تقريبًا في الطبخ على الرغم من أني كنت أعيش وحيدًا في السعودية وأطهو الكثير من الأشياء، لكن لا يستطيع أحد أن يأكل ما أطبخ غيري! مثلًا أنا لا أستخدم أي ملح ولا أي سكر ولا أي بهارات، فبما أني شخص صحي آكل وأطهو بطريقه صحية غريبة قليلًا، من الشجر وإلى المعدة، لا تسخين في الزيت ولا استخدام لأي نوع من البهارات، فقط الأكل في المياه مسلوق أو مشوي، لكن لحسن الحظ دائما كنت أستخدم الخضار بكثرة حيث إني أفضل الخضار والفاكهة على اللحوم، وبما أن المزرعة لا تستخدم إلا الخضار فهذه نقطة في صالحي، توجهت إلى المطبخ بقلب ينبض بشدة وخطر لي أنهم سيطرودونني بعد الأكل! وبدأت أحاول تقطيع الخضار الموجود الذي لا أعرف اسمه وأقوم بطهو المكرونة الإسبجاتي وطبق من السلاطة به أشياء لا أعرفها، استخدمت مكونًا جديدًا في الطعام، ألا و هو قشر اليوسفي! و جاءت ساعة الطرد من المزرعة، ناديت عليهم للطعام، وجاؤوا طبعًا، وأنا أنظر إليهم، وإلى الأرض والطعام سريعًا مفكرًا: هل سأضطر لدفع نقود كثيرة عندما يطردونني!

لسبب ما لا أعلمه جنَّ جنونهم بالطعام! حتى أن صاحب المزرعة الذي لا يتحدث تقريبًا مع أي أحد بدأ يتحدث معي ويشكرني على

الطعام، وأبلغني أنه لم يذق طعامًا مثل هذا منذ فترة طويلة، وأن طعامي لذيذ جدًّا و غني جدًّا بالفيتامينات والأشياء المفيدة، ابتسمت ابتسامة من استرد روحه، و بدأ شيطان نفسي يطفو، فبدأت تمثيل دور الشيف الراقي، و كيف أني أستخدم الأشياء المفيدة فقط، وكيف أني أهتم بشكل الطعام ومكوناته، وكيف أني وضعت قشر اليوسفي في الطعام؛ لأني لا أريد أن ألقي بالقشر حيث يجب على المزرعة الاستفادة حتى من الفضلات، وقد بدأ الشاب البريطاني يسألني عن أدق التفاصيل في الطعام، ويأخذ رأيي في أي طعام يفكر فيه، وبدأ عصر جديد في المزرعة، عصر الأكل الجيد! لكن للأسف ظهرت المتاعب أيضًا، فقد أصبح من مهامي الجديدة الطبخ، فتقريبًا يوميًّا يطلبون أن أطبخ لهم شيئًا ما، إما في الإفطار أو الغذاء أو العشاء وطبعًا العملية لا تقتصر فقط على الطعام، غسيل المواعين أيضًا!

انتهى الغذاء وأنا أشعر بالزهو وانتفخت أوداجي بعد أن كان قلبي يدق موتًا من فكرة طردي من المزرعة، فكرت في الاستحمام حيث أني لم أستحم منذ أن جئت إلى المزرعة، مستلهمًا شكلي الجديد من لويس الفرنسي الذي لا يستحم، ولا يقوم بتمشيط شعره، عند محاولتي الاستحمام بدأت أرتعش بشدة بسبب برودة المياه وخرجت فورا بعد أن غسلت شعري فقط، مستاء ومفكرًا حتى متى سأكون لويس المصري! لكن يبدو أن القدر يحمل لي خططًا أخرى، فعند خروجي من الحمام وجدت الشاب التركي أتيًا مسرعًا نحوي وأبلغني أن رغبتي في الذهاب إلى العيون الساخنة الطبيعية الموجودة قريبًا ستتحقق حيث أبلغتهم صباحًا على الإفطار أني أريد أن أزور هذه

العيون، فنظروا لي في تعالٍ و اشمئزاز الأفندم التركي للعبد المصري وأبلغوني لا وقت للمتطوعين خاصة أنت، فأنت متطوع لمدة تقل عن أسبوعين، فلا إجازة لك بل عمل فقط! لك يبدو أن الغذاء قد فعل بهم الأفاعيل، أو يبدو أنهم اتفقوا مع أصدقائهم للذهاب إلى العيون، وأخيرًا استحمام في مياه ساخنة جدًّا بها الكثير من المواد الكبريتية والأملاح، لقد استحممت ثلاث مرات حتى أستعد لبيات شتوي طويل بلا استحمام لفترة، لقد كانوا كرماء و أعطوني أربعين دقيقة في غرفة الاستحمام حتى أستمتع، والغرفة ضيقة تبلغ مساحتها حوالي مترين في مترين، بها حوض يُملى بالمياه الساخنة، تتدفق عليه المياه مباشرة من الجبل، وهناك صنبور للمياه الباردة التي استخدمتها بعد أن أنهيت الدش الساخن، الغريب أني الوحيد الذي استطاع استخدام المياه الباردة، فلم يستطع لا الفرنسي ولا البريطاني ولا الأتراك استخدام المياه الباردة بعد نهاية الحمام الساخن! وكنت أعتقد دائمًا بوجوب استخدام المياه الباردة بعد الحمام الساخن إذا كنت سأتعرض لجو بارد من باب الاعتياد على الطبيعة، لكني تعلمت اليوم أنه من الممكن أن تخرج من حمام ساخن جدًّا وتعيش طبيعيًّا في درجة حرارة منخفضة! المكان به عدة غرف للاستحمام وكافتيريا بسيطة لشرب بعض المشروبات الساخنة أو الخمور بعد أو أثناء الاستحمام!

في خلال الرحلة إلى الحمام الساخن كنت أتحدث مع سكوت وعرفت عنه الكثير، يبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عامًا، عاش معظم حياته في أستراليا، لكن آخر أربعة أعوام فقط عاشها في بريطانيا، يعمل مسؤولًا عن برنامج في القناة الخامسة البريطانية، متزوج من

برازيلية تعرف عليها في بريطانيا، يبدو أن عائلته غنية في أستراليا حيث يملكون مزرعة، وبها أناس ترعاها وخدم ليخدموهم عندما يذهبون إلى مزرعتهم للتسلية و حفلات الشواء في الصيف.

بعد الحمام الساخن تجاذبت أطراف الحديث مع الفتاة التركية، هي مسلمة اسمها عائشة، تشرب الخمور وتعيش مع الشاب الفرنسي، تناضل من أجل تغير تركيا والمناطق الفقيرة! تعمل محامية.

عند العودة إلى المزرعة فكرت أن أحاول إشعال المدفئة بنفسي، نظام التدفئة في المزرعة عبارة عن مدفئة كبيرة يوضع بها حطب ويضرم به النار، تمتد أنابيب من المدفئة لكل غرفة، فتعطي كل غرفة ساعتين من الدفء فقط، حاولت أكثر من مرة أن أضرم النار في الحطب لكنه أبى، حتى جاء سكوت و بدأ محاولة استمرت لمدة ساعة كاملة، عندما يصبح الحطب رطبًا يكون من الصعوبة إشعاله، الفكرة في وضع بعض الأخشاب الصغيرة فوق قطعه ورق مشتعلة، فتشتعل القطع الصغيرة ليوضع فوقها قطع أكبر فأكبر حتى تمتلئ المدفأة.

رقصة العبيد

5- 12- 2011

أصدقائي الورق الجاف والزجاجة لا يفارقوني الآن صباحًا و ليلًا، لقد صرت أكثر تقبلًا للقذارة المختلفة أنواعها، أصبحت أكثر جرأة في التعامل مع الحيوانات.

بعد العشاء بدأت مناقشة بين الفتى و الفتاة التركيين من جهة والشاب الفرنسي والبريطاني من جهه أخرى، وأنا مستمع، توقعت أن تكون حفلة تقديم فروض الطاعة والولاء من جانب العبيد المنبطحين لسيدهم الفرنسي والأسترالي، بدأت القصة عندما سأل سكوت عن الأكراد وما المشكلة؟ فتبرع الشاب التركي واسمه بيكوي في شرح مفصل وعادل لمشكلة الأكراد، كيف أن العثمانيين قد دمروهم وأنهم كانوا دائمًا بلا دولة وقُسمت أراضيهم بين تركيا وسوريا والعراق وإيران، وكيف يقوم الآن الرؤساء الأتراك المتعاقبون بالكذب على الأكراد، ويقوم الأكراد بمحاولة إنشاء دولة لهم، ثم

بدؤوا يتكلمون عن تركيا، وكيف أن بلادهم هي مجموعة من الفلاحين وبسطاء العقل، وكيف أن بلادهم بلا أي صناعة وأنها فقط تعتمد على الزراعة واستخراج الأحجار وبعض شركات الإنشاءات، تحدث الشاب الفرنسي مع سكوت متجاهلًا لهم، و قال له: إن وضع تركيا جيد جدًّا مقارنة بالكثير من البلاد الأخرى، فترى الكثير من الأشياء صنع في تركيا فمثلًا الغسالات والسيارات وأشياء أخرى، ثم بدأ الفرنسي يسرد صناعات فرنسا التي لا تقارن بتركيا، شعرت بالخزي فالدولتان تبدوان صناعيتان جدًّا، أما مصر... ثم بدأ الأترك يغنون أغنية "فلنحقر من أردوغان"، فبدأ بيكوي بوصف أردوغان على أنه يستغل جسمه الضخم، وصوته الأجش العالي وهيئته التي تشبه بالعسكريين العظام في التأثير على آراء الناس والساسة حيث تعلم الخطابة في أحد المعاهد الدينية، الفتاة تقفز قفزة بسيطة، انتشت بما يقوله بيكوي، وتؤكد عليه من حين لآخر، وتقف على أصابع رجليها وتضحك، تسابقوا على إفهامنا أن أردوغان يحول تركيا إلى عثمانية جديدة، حيث يسود الرأي الواحد والملك لشخص واحد، أردوغان يستغل كل هذا من أجل التأثير في ضعاف العقل ودول العالم العربي! لكن هم أي الأتراك يعرفون خُدعه،الراقصون الأتراك في حالة انتعاش شديد وسعادة غامرة من أن مستمعيهم من السادة البيض فهموا الآن خدع الأبله المتوحش أردوغان.

حان الآن موعد العرب، تطوع المنبطحون بتنبه الأسياد بأن لا أحد سمع عن العرب قبل البترول – حيث أشاح بيكوي بوجهه في اتجاهي مشيرًا للعرب – وكيف ان أردوغان يحاول التأثير في العرب

والسيطرة عليهم من أجل أن يفاوض الأوربيين،وكيف كانوا يعاملون العرب أثناء الإمبراطورية العثمانية، لقد شعرت عندها بذل لم أشعر به من قبل، ذل الموسوم بسمعة بلده، البلد المحتل من الجميع، البلد المعتمد على صناعته على الآخرين، لا أدرى أن كان مصيري أن أعيش بهذا العار؟ فماذا سيكون مصير أولادي، ومن بعدهم أحفادي!

لاحظ الشاب الفرنسي تجهمي، وحاول تخفيف الأمر بالإشارة لجمال عبد الناصر، ومحاولته تجميع العرب والمحاولة الصناعية التي بدأها، لم يبدِ أي أحد اهتمامًا بما يقول، ولم أشعر بأي تخفيف، إن الإنسان القوي لا يرى إلا القمة، ودونها فشل أما الفاشل فيرى أنه على القمة عندما يصعد عدة أمتار على سفح الجبل.

عندما كنت في الثانوية العامة، اصطحبتني والدتي لرؤية النتيجة، حصلت على 95%،وكان مجموعًا جيدًا يؤهلني إلى أي كلية أريدها، فما كان من أمي إلا أن أُصبت بحالة ذهول وكآبة، وبصقت على في الشارع! ولم تتكلم معي طول سكة العودة! لقد صدمت أني لم أحصل على 99% أو 98% على أقل تقدير، لأنها لم تقم بتربيتي إلا لأرى القمة وسواها ليل يعتبر فشلًا، في نفس التوقيت حصل أحد أصدقائي على 65% فقام أبواه بذبح خروف ابتهاجًا، وقاموا بدعوة الكثير من الناس إلى حفلة كبيرة!

عند هذا الحد لم أحتمل أكثر من ذلك، كنت أشعر بالمرارة والغضب ليس من الراقصين أمامي فقط، لكن مما أحمله من تركة سيئة، تركتهم بدون كلام أو استئذان،طوال الرقصة لمدة ساعة تقريبًا

لم أتحدث بأي كلمة وكنت أستمع فقط، قررت النوم هروبًا مما حدث، تذكرت بعض الأحداث التي حدثت لي أثناء الرحلة، وكيف أن كل الناس كانوا يحاولون سؤالي عن مصر وأحوالها بعد الثورة وكيف حال الثورة، تذكرت كيف أن بعض الأتراك كانوا يسألونني من على الأشجار عن مبارك و كيف أن بعضهم كان ينزل من الأشجار في المزارع ليحتضنني بعد أن يعرف أني من بلد الثورة، وكيف أني قبلت عامل بناء نزل من الدور الأول، وترك عمله و أخذ يقبلني بعد أن عرف أني مصري، وتخيلت مصر بعد ثورة 52 وكيف أنها ألهمت العالم، وكانت محط أنظار الجميع، لا أريد رؤية أي غربي بعد الآن

الأمطار

7- 12- 2011

العمل الجديد الذي أُسند إلي يوم أمس كان رائعًا، حيث كان يجب على تنظيف الحمامات، وحرق أوراق الحمامات، لا يستخدم الغربيون في دورات المياه أي مياه للتنظيف، بل يستخدمون مناديل ورقية، لهذا يجب على المزرعة التخلص من هذه الأوراق دوريًّا عن طريق حرقها.

لم أستحم منذ عدة أيام، وبدأ شعري يمتلأ بالقشرة، مما أستوجب أن أذهب إلى النهر و غسل شعري بالمياه المثلجة في درجة حرارة حوالي 8 درجات مئوية.

النشرة الجوية تنبئنا بأمطار غزيرة، كما اتصل بصاحب المزرعة أصدقاؤه في أزمير- بلدة تركية - وأبلغوه بهطول الأمطار الغزيرة عليهم الآن، مما يعني أن الأمطار ستصل إلينا في خلال ساعتين أو

ثلاث على الأكثر، لقد كان من الغريب رؤية تحضيراهم للأمطار، بدأنا تغطية كل شيء في المزرعة، الخيام، الأدوات، بيوت الحيوانات الأخشاب، والحطب، أي شيء ممكن أن يبتل ويفسد يجب تغطيته، حفرنا قنوات و مجاري مائية حتى تتجمع مياه الأمطار بها، وتنساب إلى خارج المزرعة.

وكالعادة الرئيس التركي بيكوي يجلس منتفخًا، ويطالب الخادمين العربي و الأسترالي بتنفيذ كل شيء من حفر وخلافه.

كنت أفكر أنه يجب عليَّ مغادرة هذا المكان فورًا، لا أستطيع الخروج أو التخطيط بدون إنترنت، وكان الجهاز الوحيد الموصل بالإنترنت المسموح للمتطوعين استخدامه لا يعمل الآن، حيث قطعوا الكهرباء عن المزرعة بسبب عدم وجود طاقة كافية بسبب اختفاء الشمس لمدة أكثر من يوم، لكن طبعًا الرئيس التركي لا يستطيع أن يعيش بدون الولوج إلى الإنترنت! فكان هو وصاحب المزرعة الوحيدين المسموح لهما باستخدام الإنترنت ولكهرباء براحة، ليس هذا فحسب، بل لقد أمرنا الرئيس التركي بعدم استخدام الإنترنت فقد نفدت الكمية المسموحة لهم بتحميلها من الإنترنت؛ مما جعل السرعة ضعيفة جدًّا، لقد كان يلومنا هذا المجنون على انتهاء الكمية! مع أني لا أستخدم الإنترنت تقريبًا، وسكوت لديه إنترنت خاص به، يقوم عن طريقه بالدخول إلى الشبكة! وقد غادرنا الشاب والفتاة التركية، فلا أحد يستخدم الإنترنت إلا نحن والرئيس التركي بيكوي، طبعًا يريد لوم أحد ما غير نفسه، لكني كنت يائسًا وأريد الرحيل من

هذا المكان بشدة، ولهذا أريد الإنترنت، تعلمت أن أقوم بتوصيل الكهرباء للكمبيوتر بدون أن ينتبه أحد، ثم أستخدم الإنترنت لمدة بسيطة ثم أفصل الكهرباء ثانية كأن شيئا لم يحدث.

سأحاول الاتصال ببعض الأتراك طالبًا منهم استضافتي يومًا أو اثنين وهذه خدمه تطوعية يقدمها أحد المواقع على الإنترنت، حيث يشترك كل من يرغب في استضافه أشخاص في بلاده.

الشاب الأمريكي و الفتاة الأسترالية

8- 12- 2011

لم أتنزه اليوم خارج المزرعة صباحًا لأنه يجب علي تحضير الفطور، حيث كان سيأتي إلى المزرعة أشخاص جدد، فتى أمريكي عرفت عنه بعد ذلك أنه في أواسط العشرينيات، و فتا أسترالية في نفس السن تقريبًا، وبدأت المهزلة، الفتى والفتاة يتملقون الجميع بشدة خاصة بيكوي التركي، مما أشعره بفخر شديد، الفتاة تضحك بصوت عالٍ جدًّا ومبتذل لجذب الانتباه، أخذت تُقبِّل وتحتضن بيكوي بشدة، حاولت مع الجميع نفس الشي و لكني رفضت.

أبلغني الشاب أنهما قضيا وقتهما عند الكثير من الناس، لكنه أخذ يضحك عندما شرح كيف أن أحد الرجال - الذين استضافوهما- أحب البنت بشدة وأكرمهما أشد الكرم بسبب حبها، من المفترض أن هذه البنت هي حبيبة الولد الأمريكي!

لقد أصبح الولد والبنت رئيسيَّ أنا وسكوت لا لشيء إلا لأنهما

يتملقان ويمدحان ويضحكان مع الشاب التركي، أصبحت آخذ أوامري من المتملق، لقد صرت مشبعًا لا أستطيع أن أتحمل المزيد من هذا الهراء،وقررت أن أترك هذا المكان، لقد اتصلت بأحد الأشخاص، واتفقت معه على أن أذهب لأعيش عنده يوم الحادي عشر، أي بعد يومين،

استخدام الكلام الفاضح والبذيء والضحك على المواقف المخلة للآداب هو سمت بعض ممن قابلتهم في هذه المزرعة، مثل بيكوي وصاحبة المزرعة والشاب الأمريكي والفتاة الأسترالية، يبدو لي سكوت أكثر من قابلتهم احترامًا، حتى في طريقة أكله، يملأ طبقه مرة واحدة فقط، ويأكل قليلًا على عكس الباقين، وقد عرفت منه أنه يأكل الزيت والملح فقط في بعض الأحيان إذا اضطر، للأسف حتى أنا لم أعد بمثل هذا الاحترام في الأكل، وهذا لعدة أسباب: أولها أني كنت أعتقد أن المزيد من الأكل سيدفئني من البرد، ثانيها أني كنت غاضبًا من أصحاب المزرعة، ثالثها أني تعلمت من الفرنسيين وأخيرًا من العمل الشاق كنت أشعر بالجوع الشديد، لكن على أي حال لم أستمر على هذا النحو إلا لمدة ثلاثة أيام فقط، أدركت بعدها أن الأكل كثيرًا قد يجعل معدتي في حالة من عدم استقرار، مما يضطرني إلى الاستيقاظ أكثر من مرة أثناء الليل، لهذا احترمت نفسي ثانية، وبدأت آكل بطريقتي المعتادة من أكل بسيط قليل.

الحفلة التركية

9- 12- 2011

اليوم الجمعة، موعد السوق التي تقام في القرية، ويذهب إليها كل أفراد المزرعة من أجل شراء احتياجاتها من مأكولات ومشروبات، اتفقت مع بيكوي أني لن أذهب إلى السوق، وأني سآخذ الدراجة وأذهب إلى قرية أخرى في قمة جبل قريب، قرية يونانية في الأصل قبل أن يهجرها اليونانيون ويستوطنها الأتراك، نصحني سكوت بالذهاب إلى هذه القرية؛ لأنها مميزة جدًّا حيث ذهب إليها قبلي على دراجته، ووافق بيكوي مشكورًا على طلبي على أن أرجع بعد صلاة الجمعة مباشرة، أخذت دراجة من درجات المزرعة القديمة، درجات تبدو متهالكة.

الطريق يصعد جبلًا مما أرهقني جدًّا، حتى أني كنت أنزل من الدراجة و أجرها، وأكثر من مرة أفكر أن أعود ولكن يمنعني كبريائي من أن أفشل فيما نجح فيه سكوت، بعد حوالي ساعة كاملة من المعاناة

صعودًا وصلت إلى مدافن، تبدو لي ليست بمقابر، ولكن بحديقة غناء رائعة، لم أرَ لها مثيلًا في مصر من قبل، القرية تبدأ في نهاية المقابر، بها سيارات تبدو ليست بالرخيصة، لم أر تقريبا أي شخص! فقط قطعانًا من الغنم وأسرابًا من الدجاج، أخذت أتجول بالدراجة في أنحاء القرية حتى وصلت منحدرًا مخيفًا، وبما أن القرية على قمة جبل فهي محاطة بمنحدرات قوية من ثلاث جهات، يوجد على طرف القرية مسجد، البيوت تبدو على طُرز قديمة، ولكن المباني تبدو بحالة جيدة ونظيفة.

تركت القرية وبدأت رحلة مجنونة هبوطًا على المنحدر الذي قطعته في حوالي ساعة صعودًا، استطعت الهبوط عليه في خلال خمس عشرة دقيقة، الدراجة كأنها جنت، تتحرك بدون أن أبذل أي جهد، لقد كنت مرتعدًا وأخشى الضغط على المكابح بسبب السرعة الجنونية التي تنحدر بها الدراجة على الجبل، في النهاية، وصلت بسلام، وصليت الجمعة، ثم اشتريت بعض المأكولات و الشكولاتات والبسكوتات، ثم ذهبت إلى محطة الحافلات المسافرة إلى إسطنبول لأتأكد أني لا أحتاج إلى حجز، وفعلًا أعتقد أن الموظفة أكدت لي أني أستطيع أن آتي قبل ساعة من ميعاد الحافلة وأسافر، أو هكذا اعتقدت أنها قالت؛ لأنها كانت لا تتكلم بالانجليزية، ولكننا تكلمنا بالإشارات، والكتابة على أوراق، تركتها وذهبت للشاطئ قليلًا لأتأمل البحر.

عدت إلى المزرعة و لحسن الحظ لم أقابل إلا سكوت وشكرته على نصيحته.

في اليوم التالي أبلغوني أن أستعد للذهاب إلى حفلة في الليل، ارتديت الملابس الوحيدة لدي الصالحة للخروج، ذهبنا في سيارة ميكروباص خاصة بالمزرعة واصطحبنا عدة أشخاص في الطريق.

فوجئت أننا ذهبنا لنفس القرية التي زرناها بالأمس! توقفنا أمام مبنى محاط بأسوار عالية حوالي ثلاث أمتار، يقف أمامها ثلاثة رجال، حييتهم قائلًا: مرحبا التي يستعملها الأتراك، وكان الثلاثة يتحدثون الإنجليزية، طرقنا باب السور، وتحدث الرجال بالتركية، ففتح أحدهم الباب من الداخل، وراء الأسوار فناء فارغ إلا من أضخم كلبين رأيتهما في حياتي! لقد اعتدت رؤية الكلاب والحياة معهم، لكن هذان لم يكونا كلبين، بل أسدين ربما، لونهما أبيض ولهما فراء كثيف، أخذا يقفزان على الجميع، لكن فشلت في أن أكون شجاعًا بما فيه الكفاية لألعب معهما، فتح رجل ضخم باب المنزل، وحيا الجميع، فهمت بعد ذلك أن هذه الحفلة هي إما لعيد ميلاد هذا الرجل أو عيد زواجه بزوجته، اصطحبنا لداخل المنزل في غرفة باهتة الأنوار، صغيرة نوعًا ما، بها مدفأة تتراقص النار بها، يبدو أننا لم نأتِ باكرًا حيث وجدنا بعض الأشخاص في الغرفة سبقونا إلى الحفلة، كلهم أتراك إلا واحدة تبدو إنجليزية أو من وسط أوربا، جلسنا كلنا على الأرض إلا بعض العجائز على كنبتين، يتكلم الجميع الإنجليزية بطلاقة، لكنهم يتحدثون جميعا بالتركية مع بعضهم البعض، وكنا رواد المزرعة نتحدث مع بعضنا بعضًا بالإنجليزية، لم ينجح أي شخص منا في تجاذب الحديث مع أفراد الحفلة، وكنت لا أعرف أحدًا إلا شخصًا رأيته في المزرعة مسنًا، حاولت التحدث معه، وكان مثلنا لا يتجاذب الحديث مع

أحد، لهذا استسلم للحديث معي، وما هي إلا دقائق حتى حضر الرجل الضخم، وأبلغنا أن الطعام جاهز، وبدأ الأكل بإحضار طاولة صغيرة عليها زجاجتان كبيرتان من الخمور، وشرب الجميع على نغمات أغنية تركية هادئة، الشخص الوحيد الذي لم يشرب كالعادة هو أنا، لقد كنت معتادًا على هذا، عندما كنت في روسيا كنت أشرب أنا اللبن و الآخرون يشربون الخمور، لكن في تركيا كنت أشرب مياهًا فقط، و الباقي خمور، ثم جيء بأصناف كثيرة، ووضعت على طاولة كبيرة ليأخذ كل شخص ما يريد وما لذ وطاب، تهافت أفراد المزرعة على اللحوم حيث لم يروها إلا من فترة طويلة ولم أقربها لأني لم أعرف إن كانت لحوم خنازير أم لا، بعض الموجودين من أصحاب المزارع الأغنياء كلهم يشتركون في حبهم للزراعة الحيوية، والتعامل البيئي، حتى أن بعضهم لا يشرب الألبان التي تأتي من مزارع تعامل بها الحيوانات بطريقة عنيفة أو بها عنف نفسي للحيوانات! انتهز الرجل المسن الفرصة وبدأ تعليمي الحياة البيئية الجيدة، وفهمت منه أنه نمساوي يعيش في تركيا منذ خمسة عشر عامًا؛ لهذا لا يندمج بسهولة معهم، وناقشني في أهمية الخنازير للمزارع بما أنها تنهي كل الفضلات الموجودة في المزرعة بأكلها، فلا يحتاج المزارع إلى مجهود كبير في التنظيف، اندهش عندما علم أني مهندس، وسألني عما أفعله هنا، فأبلغته قصتي سريعًا وشكوت له أني لا أعرف إن كنت أعيش في مزرعة أم؟ لا فلا شغل لي إلا الطبخ وغسيل المواعين وتنظيف الحمامات وحرق المناديل الخاصة بدورة المياه، وأيضًا الاعتناء بقطط وكلاب وحصان! فلم يندهش وأكد لي أن المزرعة

التي تطوعت فيها ليست للزراعة بل لشي اسمه السياحة البيئية، لتعريفك بكيفية الحفاظ على البيئة طبيعية، وأبلغني أنه صاحب مزرعة، وأنه سعيد جدًّا بمعرفتي، وإن أردت أن أتطوع للعمل في مزرعته فمرحبًا بي في أي وقت، وأعطاني إيميله ورقم تليفونه لكي آتي في أي وقت الآن أو بعد أشهر، وقتما شئت، بدأ في سرد محاسن مزرعته، وكيف أنه يملك حوالي مئتي رأس من الغنم و ثلاثة أحصنة، وحظيرة خنازير، وتأسف لي عليها، ولكنه أكد على أهميتها، وعدته بالتفكير في الموضوع، أخذ يمرح و يضحك على وضعنا بالمقارنة بالحفلة حيث نجلس نحن الاثنان كالمتفرجين، أو كما يسميها الأدباء زهور الحائط أو ساعات الحائط على ما أتذكر، يجلس الشخص صامتًا شاعرًا أنه غير كل من حوله مراقبًا لكل الناس، فترى الفتاة الأسترالية المتطوعة في المزرعة تحاول جذب انتباه أي شخص في الحفلة إليها بضحكات عالية مبتذلة ويساعدها في ذلك الشاب الأمريكي الذي يبدأ حديثه مع أي شخص: "أنا أمريكي من نيويورك"، وتجد بيكوي يتلهف على الأكل كأنه لم يأكل من قبل، وسكوت يجلس هادئًا بجوار المدفأة يراقب النار الملتهبة، كما تجد الأتراك مشغولين مع بعضهم البعض في أحاديث تبدو مهمة، وشاب بينهم يحاول الكلام مع الفتاة الأوربية، وسيدتان تبتسمان غالًبا من الكلام على الأكل، وأخرى تحاول تصوير الجو العام على كاميرا تبدو ليست بالغالية وأخرى تتحدث مع زوجها المسن.

انتهى الطعام، وأعلن صاحب الحفل شيئًا بالتركية، فبدأ ينهض الجميع، ويخرج للخارج في الفناء إلى حيث البرد، لقد أدركت شيئًا

غريبًا في هذه الرحلة بخصوص البرد، كنت أعتقد طوال حياتي أن الخروج من مكان ساخن إلى بارد سيؤدي حتمًا إلى نزلة برد شديدة ولكن هأنا أخرج من درجة حرارة 25 إلى درجة حرارة – 18 ولا يحدث أيء شيء لي في روسيا، والآن في تركيا أخرج من حرارة 30 إلى درجة حرارة – 4 ولا شيء فقط أشعر بالبرودة، لكن لم أمرض، كانت هناك طاولة كبيرة في الفناء عليها بعض الكيكات والأكلات الخفيفة السريعة والحلويات التركية بما فيه ما نسميه في مصر بلح الشام والزالبيا، أشعل صاحب المكان نارًا قريبة من أحد الحوائط للتدفئة، وتجمع حولها الكثير من الناس، ولم أشأ أن أقترب من مكان يتزاحم عليه النساء، ففضلت الوقوف بعيدًا شاعرًا بالتجمد بلا حركة، متأملًا ما يحدث بما أبي من زهور الحائط، بدأ صاحب الحفل في الرقص مع زوجته على النغمات التركية الراقصة، ويقبلها من حين لآخر، وسط تشجيع الجميع وهتافاتهم، ثم بعد قليل بدأ الناس بالمغادرة تباعًا بعد إعطاء أصحاب الحفل هدايا، رجعنا إلى المزرعة ورجع معنا الكثير من الأشخاص ليبيتوا ليلتهم في المزرعة، ثم غدًا صباحا سيغادرون بعد الإفطار.

المزرعة، الوداع

11- 12- 2011

ملهوفًا متحمسًا استيقظت اليوم، فالآن سأتناول الإفطار، وأترك هذا المكان بلا رجعة على ما أعتقد، كان وداعًا يليق بي، تناولنا الفطور حوالي عشرين شخصًا، ثم فجأة غادروا جميعًا ومعهم صاحب المزرعة وبيكوي، وقد كنت سعيدًا جدًّا لعدم توديعهم إياي، حتى الشاب الأمريكي والفتاة الأسترالية، أراحاني وأختفيا في مكان ما بعد الإفطار مباشرة، فلم يتبقَّ إلا أنا وسكوت، ودعني الشاب بصدق، وأعطاني بعض اليوسفي، ثم أخذت كل حقائبي، وبدأت أسير على قدمي مسافة حوالي ثلاثة كيلومترات حاملًا ثقلًا قدره تقريبا 24 كيلوجرامًا، كنت قررت أن أستمر في الاستلهام من لويس الفرنسي، فبعد أن تتبعت طريقته في عدم الاستحمام فترات طويل، الآن سأتبع طريقته في الأتوستوب، حيث يذهب من المزرعة إلى بيته في فرنسا أتوستوب فبالتأكيد لن تكون مشكلة على شخص خبير مثلي.

في نهايه السير يقع الشارع الرئيسي الذي سأحاول أن أركب منه شيئًا ما إلى إسطنبول بدون أن أدفع شيئًا، مرت نصف ساعة ولم يقف أي شخص حتى ليشير إلي بأي شيء، بل دائمًا التجاهل، بدا التفكير حيث سمحت لنفسي بساعتين فقط في هذه المحاولات وإلا ذهبت إلى محطة الحافلات، وسأضطر ساعتها إلى دفع نقود مما سينقص من عمري 45 يومًا بمقدار كل ليرة سأدفعها في مقابل الحافلة.

فجأة وقفت عربة ميكروباص أمامي و فُتح الباب وأشار لي الناس أن أركب،"يا فرج الله! الأتوستوب ده حلو أوى"،أخذني الميكروباص إلى القرية الرئيسية على الشارع الرئيسي، ثم أنزلني حيث كان ذاهبًا إلى مكان آخر، لم يكن ذاهبًا إلى إسطنبول، ولكن على أي حال أخذني قريبًا جدًّا من مكان الحافلات، فوفر لي حوالي ليرتين ثمن الوصول إلى هذا المكان، ارتفعت معنوياتي بعد هذه التجربة الناجحة، وأحسست أنني أستنشق هواء إسطنبول مجانًا.

سرتُ قليلًا حتى مكان الحافلة حتى إذا فشلت في العثور على سيارة مجانًا ذهبت إلى الحافلات على الفور قبل ميعاد مغادرة الحافلة إلى إسطنبول بساعة، وضعت الحقائب، وبدأت أشير للسيارات، يمضى الوقت والتجاهل هو سيد الموقف، في بعض الأحيان لاحظت أن بعض السائقين يشيرون لي إشارات لا أفهمها! بعد حوالي ساعة بدأ اليأس يدب في نفسي، ولكني تذكرت المبلغ الذي سأدفعه فطار اليأس عني، وحلَّ الأمل. فكرت أنه من الممكن أن يكون شكل لويس بما أنه أوربى و أنا عربي لا أحد يتقبل شكلي، ففكرت بسرعة في تغير

شكلي وبدأت أحمل الحقيبة الرئيسية على ظهرى بدلًا من وضعها على الأرض، وكان وزنها 17 كيلوجرامًا، كما أني غطيت شعري بشال عربي فبدوت بطريقة ما سائحًا بوهيميًا، ظهر التغير على الفور، بدأت الناس تهتم لي، ويقومون باستخدام النفير من أجلي تحيتي، وليس إلا! أنا لا أريد تحية، أنا أريد توصيلة، كان بعض الناس يخرجون رؤوسهم من السيارة، ويتكلمون معي بالتركية، أعتقد أنهم يشجعونني ويقومون بإشارات تحية، وتشجيع، "كويس وبعدين"، الوقت يمر وشكل الليرات التي سأدفعها يجعلني أشعر بأني سأبقى في الشارع ساعات وساعات بدون كلل أو ملل، مضت ساعة و نصف وأنا على هذه الحالة حاملًا الحقيبة على ظهري والشال على رأسي، لكن بلا جدوى! فكرت أنه من الممكن أن أكون أقوم بشيء ما خطأ فمثلًا لقد أبلغني سكوت أن يجب علي حمل يافتة مكتوبًا عليها المكان الذي سأذهب إليه، لكن لا أتذكر أن لويس العظيم أبلغني هذا، كل الذي قاله لي: إنه على أسوء تقدير يأخذ ساعة واحدة، فقط حتى يركب و هأنا بعد أكثر من ثلاث ساعات لا أحمل إلا الخيبة على رأسي وظهري.

على أي حال عمل يافتة مكتوب عليها إسطنبول لن يضر، بحثت عن يافتة فوجدت ما بين المخلفات في الشارع صندوقًا مهملًا فأخذت أحد جوانبه، وكانت للأسف صغيرًا جدًا، أكبر من الكف قليلًا، لكن لا شيء غيره، كتبت عليها بقلم كان معي، وأخذت أزيد في الكتابة حتى تظهر من بعيد لأصحاب السيارات، وهكذا أصبح لدي يافتة مكتوبًا عليها إسطنبول، هل أشم رائحة إسطنبول؟ "أهئ أهئ أهئ".

رفعت اليافتة مرات ومرات ومرات، لكن ما زال التجاهل سيد الموقف، وهكذا استسلمت للمصير الأسود الذي ينتظرني، 45 ليرة يعني أكثر من 150 جنيهًا مصريًا لبلوغ إسطنبول.

حملت الحقائب، ودخلت مكتب شركة الحافلات لأجد الموظفة الجميلة، الجمال التركي رائع، نسيت مأساة الأتوستوب وأنا أحاول التكلم معها بالإنجليزية التي لا تجيد أي حرف منها، طلبت منها حجز حافلة بعد ساعة على الأكثر، كما علمت منها من قبل حيث أستطيع أن آتي قبل ميعاد الحافلة بساعة، ابتسمت الابتسامة التركية الساحرة كاشفةً عن فصين من اللؤلؤ، وقالت ببساطة "full" وهذه تعني بالإنجليزية ممتلئ، ما شاء الله تستطيع معرفة بعض الكلمات الانجليزية أيضًا، فبدأت أشير بيدي تارة وأتحدث تارة أخرى شارحًا أني أريد أي حجز اليوم إلى إسطنبول، لكن بنفس الابتسامة الرائعة أبلغتني "full" ساعاها دار شريط حالك في رأسي، أكثر من أربع ساعات معاناة من أجل توفير تذكرة الحافلة، وهأنا بعد الذل واليأس أقوم بارتكاب هذا الجرم وأدفع التذكرة لأكتشف أني لا مكان لي بين مرتادي الحافلات اليوم، بل يجب أن أنتظر في الشارع حتى غدًا صباحًا في هذا البرد، وبدون طعام حيث كنت أقتصد جدًّا في الطعام، فلم آكل من الصباح إلا الفطور في المزرعة وثمرتين من اليوسفي، هنا لم أبال بالجمال التركي، وبدا الغضب العربي يظهر وقلت لها بحدة: إنني جئت، وأنها قالت: إنني أستطيع أن آتى قبل ساعة لكنها ردت على بعدم فهم "full"! حاولت أن أغضب أو أحتد لكن دائما "full"، "أعيط طيب و لا أيه"! المهم صعب حالي على البنت وبدأت ترسم أشياء

فهمت منها أني أستطيع أن أركب باصين واحدًا من هنا والآخر في منطقة اسمها كانكولي، فعاد إلى الأمل من جديد، وفجأة جرت وأشارت أن أتبعها، توقفت مع أحد الأشخاص الأتراك و اتفقت معه على أن يصطحبني إلى حافلة ذاهبة إلى كانكولي، هنا تذكرت الجمال التركي، وبدأت أحاول شكر الفتاة وسعدت جدًّا بما ارتسم على وجهي من بلاهة عربية في مواجهتها، فأنا أعترض على العرب لكن ليس في كل شئ، فبلاهة العرب الرجولية في مقابلة الجمال الأنثوي شيء أعتز به،

أخذ مني الرجل 15 ليرة، وبدأ الباص في التحرك، وأنا أتأمل الجمال في كل شيء حوالي، واعتقدت خطأ أنه سيضعني في حافلة أخرى في كانكولي ذاهبة إلى إسطنبول، ولكن للأسف ما حدث أنه بمجرد وصولنا إليها أشار إلى مكتب الحافلات، وقال شيئًا فهمت منه أن أذهب إلى هناك لقطع تذكرة!

يبدو أن البلاهة العربية أمام الفتاة التركية لم تكن فقط في الشكل لكنها امتدت إلى المضمون، يبدو أن الفتاه اتفقت مع الرجل على إيصالي فقط إلى كانكولي وأن يشير إلى السيارات التي ستذهب إلى إسطنبول! كان هناك بجواره حافلة ذاهبة إلى إسطنبول حاولت مع سائقها بدون جدوى أن يصطحبني معه، في النهاية استسلمت وذهبت إلى مكتب الحافلات لأكتشف أنه لا يوجد اليوم شيء يذهب إلى إسطنبول إلا في المساء في الساعة الحادية عشرة مساءً! هذا يعني أني سأبيت الليلة في الحافلة، وسأضطر إلى التسكع في الشوارع طوال

اليوم حتى ألقى الشاب التركي الذي سيستضيفني في بيته، حاولت يائسًا أن أحتد عليهم، وأبلغتهم أن مكتبهم في كتشكوي قام بعمل هذا كله من أجل أن أركب فورًا وليس ليلًا ولكن هيهات، على أي حال قررت أن لا حل أمامي غير هذا، وقطعت تذكرة، وحسبت أن مجموعها زائد التذكرة من كوتشكوي إلى كانكولي أغلى بخمس ليرات من حافلة مباشرة من كتشكوي إلى إسطنبول، كابوس، كان من المفترض أن أوفر كل هذا المال عن طريق الأتوستوب، وفجأة ينقلب كل هذا إلى مال أكثر من المعتاد بخمس ليرات ومبيت في الحافلة و تسكع في الشوارع.

مدينة كانكولي مدينة لا تختلف كثيرًا عن إسطنبول أو على الأقل الجزء الصغير الذي رأيته حوالي ثلاث شوارع طوال جدًّا، وبها الكثير من المحلات على الجانبين، أنوار متلألئة والأرض ليست مرصوفة بل حجرة صغيرة مربعة، قباب وأبراج عليها ساعات كساعة بيج بن في بريطانيا لكن أصغر، مقاهٍ وشباب و شابات يلهون هنا و هناك، مكتب الحافلات على البحر، فسرت على الشاطئ قليلًا و يا للعجب أرى حصانًا خشبيًّا ضخمًا ذكرني بقصة حصان طروادة! حاولت سؤال بعض المارة عن الحصان حتى فهم أحدهم الإنجليزية وأبلغني أني في مدينة طروادة! يا للعجب تركيا هي أرض إمبراطورية طروادة ؟! لم أكن أعرف هذا، و رأيت الحصان، وفهمت أن هذا الحصان هو الذي اُستخدم في الفيلم المسمى طروادة، لكن المدينة القديمة والحصان الأصلي على بعد حوالي 20 كيلومترًا من هنا، أحسست بسعادة وتحول استيائي إلى فرح، فهأنا أرى شئًا لم أكن أتحسب له.

استخدمت الأنترنت قليلًا لأرى أحوال الدنيا و لأقضي بعض الوقت حتى موعد الحافلة، ثم تناولت وجبة خفيفة وبعض الحلوى التركية، ثم ذهبت إلى مكتب الحافلات محاولًا كالعادة الاستهبال والاستعباط حتى أنام قليلًا حتى موعد انطلاق الحافلة.



الجزء الثالث



إسطنبول ثانية، أركان
الضفدعة والبرغوث

12- 12- 2011

سبات عميق على ضوء اهتزاز الحافلة طوال الليل قاطعًا الطريق إلى إسطنبول، نمت كمن يستمتع بصوت الغسالة في نومه، يبدو أنه ينتظرني مستقبل باهر في النوم في الحافلات.

وصلنا إسطنبول في الساعة الثالثة صباحًا، للأسف لا أستطيع أن أهاتف الشاب التركي الذي سيستضيفني يومين، لهذا كان من المقرر أن أتسكع في الشوارع لمدة على الأقل أربع ساعات بالحقائب الثقيلة وفي جو بارد، الجو كئيب لا أحد في الشوارع، والمحلات كلها مغلقة تقريبًا، رأيت محطة أتوبيس عام، فذهبت إليها علني أستريح من ثقل الحقائب، وأحاول تجنب الهواء المفتوح، اتقاء للبرد، جلست حوالي ثلاثين دقيقة، ولم أتمالك نفسي من البرد، فبدأت السير ذهابًا وإيابًا، ومضى الوقت هكذا ما بين السير والاستراحة على المحطة من البرد،

على الساعة السادسة بدأت الحياة تدب في الشوارع، بعض المارة وبعض المنتظرين للأوتوبيس .

ظهر بجانبي شخص خفت من هيئته، اعتقدته سارقًا أو شيئًا ما، لا يتحدث الإنجليزية فقط التركية، بدأ الحديث معي وبدأت رحلة من الاستعباط حتى يمر الوقت، ويصبح هناك الكثير من الناس حولنا، فيكون الوضع أكثر أمانًا. كان يسألني عدة أشياء عني، وأفهمه لكني كنت أنظر في بلاهة، وأدعي عدم الفهم لإضاعة الوقت، أجيب تساؤلًا وأتظاهر بالبلاهة في الإجابة عن سؤال آخر، بدا يصمم أن أذهب معه ليدعوني إلى شاي، ولكني رفضت في رفقٍ إلحاحه، وواجهت تصميمه بهدوء و ابتسامة لا تفارق فمي، أخيرًا جاء أتوبيس قفز فيه بعد أن أعطاني رقم تليفونه، أعتقد أنه شخص بسيط، لكني خفت من لا شيء.

دقت الساعة السادسة والنصف، أخيرًا فُتحت دورة المياه العامة بعد أن كنتُ أمارس العادة المصرية من استخدام الحوائط منذ أن وصلت ليلًا، البرد الشديد يضطرني للذهاب إلى دورة المياه كثيرًا، وكلما قلَّت درجة الحرارة كانت هناك الكثير من الحوائط ضحاياي، الحمد لله أن الناس نيام، وأني وحدي في الشوارع، وإلا كنت حبست في السجن على ما أعتقد!

بعد أن شعرت بالراحة بسبب بيت الراحة، اخترت فتاة وجدتها جالسة على أريكة عامة، لأطلب منها أن تتحدث مع أركان التركي وتصف له مكاني حتى يأتي و يصطحبني.

أركان شاب تركي أبيض البشرة، طوله متوسط، قوامه يبدو رياضيًّا، اتفقت معه أن أترك الحقائب، فقط في المترل، ثم نذهب كل في طريقه ونتقابل في المساء، وهذا جيد من ناحية أني سأتخلص من الحقائب الثقيلة، ولكن سيء من ناحية أني بدلًا من النوم والراحة بعد ليلة ليست بالممتازة، سأضطر إلى أن أتسكع في شوارع إسطنبول،

اصطحبني إلى البيت، وضعت حقائبي في الغرفة التي خصصها لي، غسلت وجهي ويدي، قام بتحضير الفطور سريعًا وتطوعت لغسيل المواعين، حيث صرت "بتاع المواعين" بعد الكورس القوي الذي أخذته في المزرعة، حاول إثنائي، ولكني أبلغته أني كنت متطوعًا في مزرعة، نزلنا من المترل وتوجه هو إلى عملة وأنا إلى الشوارع، إن فكرة البقاء عند أحد لا تعرفه أبدًا هي غريبة بعض الشيء، يعتريني القلق من أن تسرق ملابسي، أو أن يكون شخصًا مختلًا أو مريضًا، أعتقد أنه أيضًا يخشاني أكثر مما أخشاه، لكن لحس الحظ، كان بيننا أشياء مشتركة كثيرًا، فمثلًا نحن الاثنان نعمل في نفس مجال العمل، ألا وهو الكمبيوتر.

رسمت لنفسي طريقًا طويلًا جدًّا من التسكع في الشوارع على الخريطة، طريق لم أسير به من قبل في إسطنبول، حيث كنت أعمل في الفترة التي قضيتها في إسطنبول، فلم يوجد وقت للسياحة، الطريق بين الأحياء الراقية ويخترق حديقة كبيرة جدًّا في وسطها، المنطقة الراقية بها وجه لم أره من قبل، الرُّقى الرهيب، والناس الذين يأتون خصيصًا لزيارة هذه المنطقة؛ للتمتع بالقصور التي تُسمى سراي،

والاستمتاع بمناظر خلابة لشاطئ البحر على البسفور، ويأكلون وجبات تبدو غريبة، وملونة جدًّا يشترونها من محلات تملأ المنطقة، كما يوجد جميع دور العبادة السماوية من مساجد و كنائس ومحراب يهودي.

ثماني ساعات من السير في البرد، لكن المعنويات كانت عالية حيث تبقى لي يومان فقط في هذا الوضع، تناولت وجبة جيدة بدون أن أوفر شيئًا، فهذه آخر أيام الرحلة، حيث نبدأ بصرف ما وفرناه طوال الرحلة، حتى أني تناولت وجبة واحدة بحوالي 33 ليرة تركية، وهذا مبلغ لم أدفعه من قبل!

مضى اليومان بدون أحداث درامية، إفطار، وتحدث قليلًا مع أركان، ثم تسكع في الشوارع حتى المساء،ثم مقابلة أركان، فاستحمام، فدردشة لمدة ساعتين، فنوم عمي.

المحادثة مع أركان كانت شائقة، أبلغني كيف أنه تزوج مرتين وطلّق، وكيف أنه ترك صديقته الجديدة من شهر، نصحني ألا أتزوج تركية، وقال: إنه سيذهب إلى روسيا أو أوكرانيا للبحث عن زوجة! من أهم شروطه للزوجة أن تكون بيضاء شقراء!

سألته عن الحياة السياسية،وكان رأيه معتدلًا حيث قال:إن الأشياء ليست بالواضحة على الرغم من التقدم الظاهر اقتصاديًّا، لكنه تخوف أن تتحول تركيا في النهاية للديكتاتورية بعد أن يسيطر حزب العدالة والتنمية على كل مقاليد الأمور في الدولة.

كان رده بليغًا عندما سألته: لماذا يشعر الأتراك بالمهانة وأنهم قليلو الشأن على الرغم من تاريخهم المشرف؟ أجابني بسرد قصة عن البراغيث، قال: إن هناك تجربة تمّت على البراغيث، حيث جاؤوا ببرغوث، ووضعوه في إناء سقفه عالٍ قليلًا، فقام البرغوث بالقفز كثيرًا، وفي كل مرة يضرب السقف، فتركوه عدة أيام فوجدوا أن البرغوث اعتاد على أن يقفز بطريقة أقل من السابق حيث صار لا يضرب السقف، فقاموا بتخفيض السقف، فبدأ البرغوث بالقفز حتى يضرب السقف عدة أيام، ثم ثانية أصبح البرغوث يقفز لكنه لا يضرب السقف،من هنا نستنتج أن البشر من الممكن ترويض أحلامهم و ترويض قدراتهم على الرغم من أن قدرتهم الحقيقية تفوق ذلك، فشرح لي أن الأتراك بعد الحرب العالمية الثانية، أرد الغرب لهم أن يحجِّموا معرفتهم بأنفسهم، وبمقدرتهم، فكان مصيرهم مصير البرغوث.

كما سرد لي قصة أخرى عن الضفادع، لا أذكر لماذا حكاها، تقول التجربة: إنهم أتوا بضفدعة، وضعوها في إناء وبدؤوا في تسخين الإناء على نار عالية جدًّا، فما كان من الضفدع إلا أن قفز من الإناء من السخونة الشديدة، ثم أتوا به ثانية و بدؤوا تسخين الإناء على نار هادئة، فلم يشعر الضفدع بأي شيء حتى عندما بدأ يشعر بسخونة الماء كان قد تأخر الأوان لذلك،ومات الضفدع، الغرض هو أن تعرف أنك إن أردت تغيير فكر شخص ما، فإن حاولت بعنف ستجده لا يريد التغير، لكن إن حاولت بهدوء وصبر حصلت على ما تريد.

لقد كان شخص جيدًا مضيافًا ذا أخلاق، إن فكرة أن يتطوع أحد ما لاستضافتك هي فكرة رائعة أن أردت أن تتعرف على الناس، وعادهم و كيف يعيشون حياهم، أما إذا كنت تريد أن توفر النقود عن طريق المبيت مجانًا، فأعتقد أنها ليست الطريقة المثلى إن كنت ستراعي بعض الواجبات، مثلًا المشاركة في مصاريف البيت، دعوة المستضيف إلى وجبة، أو أخرى في أي مطعم. بالنسبة لي لقد دفعت أكثر بكثير مما كنت سأدفعه إن ذهبت إلى بيت شباب، لكن قد حصلت على أشياء أخرى، أصدقاء، فهم لثقافة الشعوب الأخرى، قصتا الضفدعة والبرغوث

مرر اليومان وجاء موعد العودة إلى مصر، هذه المرة أعود إليها مدركًا بعض النعم التي ينعم بها هذا البلد، مثل الجو الدافء، والأراضي المنبسطة، لكن أهم ما يميز هذا البلد – بالنسبة لي – هو وجود عائلتي بها.



الفهـــــرس

الجزء الأول

الجزء الثاني

الجزء الثالث